# مباحث في علوم القرآن الكريم

إعداد:

د/أماني محسوب العطيفي

العام الجامعي2023م-2024م

قسم الدراسات الإسلامية

الفرقة الثانية

مقرر علوم القرآن (2)

العدد:176

العام الجامعي:2023-2024

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [3][4]

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو سبيل الهداية وباب الرشاد للبشر عامة،وشريعته التى ارتضاها لخلقه ، من ابتغى الهدى في غيره ضل وأضل، ومن اعتصم به فقد نجا في الدنيا والآخرة، وهو السبيل الوحيد لتعذية الأرواح والنفوس ،والنظام الكامل الكافل لسعادة الإنسان، في هذه الدنيا، ثم في الآخرة عند لقاء خالق الأكوان.

وقد جمع الله –سبحانه وتعالى– فيه العلوم النافعة بألفاظ بليغة ومعاني جليلة ،وهو كتاب بحره عميق وفهمه دقيق وخزائنه ملأى،والاشتغال به تعلمًا وتعليمًا ودراسةً من أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله–عزوجل– .

وقد عني العلماء قديمًا وحديثًا بهذا الكتاب الجليل عناية لا مثيل لها تفسيرًا واستنباطًا وتخريجًا على نصوصه ،وقد كانت عناية العلماء بمباحث علوم القرآن

---

(1 )سورة آل عمران الآية 102

(2 )سورة النساء الآية 1

(3 )سورة الأحزاب الآيتان 70–71

(4)هذه خطبة الحاجة التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه ينظر سنن أبى داود حديث رقم (2118)كتاب النكاح ،باب "في خطبة النكاح "238/2،سنن النسائي رقم (1404):كتاب الجمعة ،باب "كيفية الخطبة " وقال الألبانى صحيح 104/3

أكبر حظا من غيرها ؛لغايتها العظمى في فهم نصوص القرآن والوقوف على أحكامه،ومن هنا كانت أهمية إعداد هذه المباحث لتكون خدمة لطلبة العلم في الفهم الصحيح لكتاب الله ،والوقوف على معانيه ،ودراسة جهود العلماء العظمى في تأصيل مباحثه ،وقد جاءت هذه الدراسة من عدة فصول وهي كالتالى:

**الفصل الأول :المحكم والمتشابه**

**المبحث الأول**:الإحكام والتشابه بالمعنى العام

**المبحث الثاني**: الإحكام والتشابه الخاص:

**المبحث الثالث**:أقسام المتشابه

**المبحث الرابع**:حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

**الفصل الثاني:العام والخاص**

**المبحث الأول**:تعريف العام لغة واصطلاحا

**المبحث الثاني**:صيغ العموم

**المبحث الثالث** :حكم تخصيص العموم

**المبحث الرابع** :أقسام العام

**المبحث الخامس**:الفرق بين التخصيص والنسخ

**المبحث السادس**:أقسام المخصص

**الفصل الثالث: المشترك اللفظي**

**المبحث الأول**:تعريف المشترك اللفظي في اللغة والاصطلاح

**المبحث الثاني**:علاقة المشترك اللفظي بالمجمل

**المبحث الثالث**:أقوال العلماء في جواز وقوع المشترك

**الفصل الرابع: المطلق والمقيد**

**المبحث الأول**:تعريف المطلق والمقيد لغة واصطلاحا

**المبحث الثاني**:الفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد:

**المبحث الثالث**:حمل المطلق على المقيد

**الفصل الخامس: الناسخ والمنسوخ**

**المبحث الأول:** تعريف النسخ لغة واصطلاحًا:

**المبحث الثاني:**أنواع النسخ في القرآن

**المبحث الثالث:** ما يقع فيه النسخ

**المبحث الرابع:** طرق معرفة النسخ:

**المبحث الخامس** :آراء العلماء في حقيقة النسخ وأدلته.

**الفصل السادس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة.**

**المبحث الأول** :أنواع النسخ في القرآن الكريم

**المبحث الثاني:**النسخ إلى بدل وإلى غير بدل

**الفصل السابع:القصص في القرآن الكريم**

**المبحث الأول** :معنى القصص

**المبحث الثاني:**أنواع القصص في القرآن الكريم

**المبحث الثالث:**فوائد القصص القرآني

**المبحث الرابع:**تكرار القص وحكمته

**المبحث الخامس:**القصة القرآنية حقيقة لا خيال

**الفصل السابع: المثل في القرآن الكريم**

**المبحث الأول:** تعريف المثل

**المبحث الثاني:** أنواع الأمثال في القرآن

**المطلب الأول:** النوع الأول: الأمثال المصرحة

**المطلب الثاني:** النوع الثاني: الأمثال الكامنة

**المطلب الثالث:** النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم

**المبحث الثالث:** ما يتمثل به من قصص الأنبياء

**المبحث الرابع** : أغراض الأمثال

**المبحث الخامس** : الدور التربوي للأمثال

**الفصل الثامن: أنواع الخطاب في القرآن الكريم**

**الفصل التاسع: الفصل الرابع عشر: إعجاز القرآن الكريم**

**المبحث الأول:** تعريف الإعجاز وإثباته

**المطلب الأول :** تعريف الإعجاز

**المطلب الثاني:** أنواع التحدي .

**المبحث الثاني:** شروط المعجزة الإلهية

**المبحث الثالث:** بم كان إعجاز القرآن

**المبحث الرابع:** وجوه إعجاز القرآن الكريم

## الفصل الأول :المحكم والمتشابه

**معناه:**

الإحكام بكسر الهمزة له العديد من المعاني ترجع كلها إلى معنى واحد وهو "المنع" عن الفساد ولا يعتبر المنع عن الإصلاح إحكامًا بل هو خاص بالمنع عن الفساد ومنه:

قولهم: أحكم الأمر؛ أي أتقنه ومنعه من الفساد.

وقولهم: أحكمه عن الأمر؛ أي منعه منه.

وقولهم: حكم نفسه وحكم الناس؛ أي منع نفسه ومنع الناس عما لا ينبغي.

وقولهم: أحكم الفرس أي جعل له "حَكَمَة" وهي ما أحط بالحنط من لجام الفرس "تمنعه" من الاضطراب[1].ومنه أيضا الحكم ،وهو لأنه يحكم بين الخصوم فيمنع أحدهما التعدي على حق الآخر.

وقول جرير[2]:**أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا**

ومنه سميت "الحكمة" وهي إصابة الحق لمنعها صاحبها من الوقوع في الباطل، ولذا سمي الحكيم حكيمًا لمعرفته الحكمة.

وردت هذه المسألة بأشكال عدة في الكتب المختصة بعلوم القرآن وتناولها الكثير من العلماء بالتفصيل؛ من ناحية أن هناك الكثير من الآيات القرآنية تنص على كون القرآن كله محكم ،وهناك ما ينص على أن القرآن كله متشابه ،وهناك ما ينص على أن بعضه محكم والآخر متشابه .

قال الملا عبد القادر آل غازي عند تفسير قوله تعالى "**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**"[3]:" وإنما خص بعض الأحكام هنا وعممها أول سورة هود "**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**"[4] ، لأن الإحكام الذي عممه هناك غير الإحكام الذي خصصه هنا، لأنه بمعنى الإحكام العام الذي لا يتطرق إليه التناقض والفساد، كإحكام البناء، لأن هذا

---

1)انظر مناهل العرفان: الزرقاني ج2 ص289.

2)ديوان جرير: ص47.

3)آل عمران ج5 ص318

4 )سورة هود: الآية الأولى.

الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدّمة عليه التي تخالف أحكامه، والمراد بالإحكام الخاص هنا أن بعض آياته قد يتطرق إليها التقيد والتخصيص بآيات أخرى منه لم تقيد ولم تخصص بغيرها." [1]

**وهذا ينه إلى أن للإحكام والتشابه معنى عام وآخر خاص**

**أولا:الإحكام والتشابه بالمعنى العام([2])**

**أولا:الإحكام العام**

**دليله:** وردت آيات كثيرة تصف القرآن الكريم كله بأنه محكم منها قوله تعالى: "**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**"[3] وقوله تعالى: "**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**" [4]"**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**"[5] "**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**"[6] "**ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحكيم**"[7]."**الم،تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**"[8]"**يّس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**"[يس:1]وغير ذلك.

وعلى هذا فالقرآن الكريم كله محكم؛ أي متقن يمتنع عنه الخلل والنقص في ألفاظه ومعانيه، ولهدايته إلى الحق والطريق المستقيم: "**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ**

---

1)بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)الناشر: مطبعة الترقي – دمشق الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1965 م ج5 ص318

2)ينظر:مباحث في علوم القرآن ص219،أصول في التفسير: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ص40 ،دراسات في علوم القرآن :د فهد الرومي ص390

3) سورة هود: الآية الأولى.

4) سورة يونس: الآية الأولى

5) سورة الرعد: الآية 37.

6) سورة الإسراء: الآية 39.

7) سورة آل عمران: الآية 58.

8) سورة لقمان: الآية 2.

**اخْتِلافاً كَثِيرا"** [1] **"لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تنزيل من حكيم حميد"** [2].

**ب- التشابه العام:**

**دليله:** قوله تعالى: **"اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً"** [3]

**معناه:** التشابه في الأصل هو التماثل بين شيئين فأكثر حتى يشق التمييز بينهما، ثم أطلق بعد ذلك على كل ما فيه غموض والتباس في تحديد معناه أو حقيقته.

**ومن الأول:** قولك فلان يشبه فلانًا؛ أي يماثله ويقاربه، سواء كان في الصفات الحسية كالجسم أو الوجه، أو في الصفات المعنوية كالأخلاق والآداب.

**ومن الثاني:** قولهم "شبه عليه الأمر" إذا التبس، وقولهم "فلان مشبوه" إذا التبست براءته من الجريمة باقترافه لها."

وذلك أن التشابه والتماثل قد يكون سببًا للعجز عن التمييز بين الأشياء متشابهًا من باب إطلاق السبب على المسبب"[4].

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: **"وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً"** [5] أي يشبه بعضه بعضًا، وقوله عن بني إسرائيل: **"إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا"** [6] أي اختلط أمره علينا،وقوله سبحانه:**"تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُم"** [7] أي تماثلت في الغي والجهالة.

ومنه قوله -عليه الصلاة والسلام-: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه

---

1) سورة النساء: الآية 82.

2) سورة فصلت: الآية 42.

3 )سورة الزمر: الآية 23.

4)المحكم والمتشابه: د. عبد الرحمن المطرودي ص13.

5 )سورة البقرة: الآية 25.

6) سورة البقرة: الآية 70.

7 ) سورة البقرة: الآية 118.

ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه"[1] أي أمور تشتبه على كثير من الناس هل هي من الحلال أم من الحرام.[2]

وعلى هذا فقوله تعالى: "**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً**" أي يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والإعجاز وعدم تناقضه، وإبداع ألفاظه، واستخراج حكمه"، وهذا هو التشابه العام بين آيات القرآن.

**ثانيًا: الإحكام والتشابه الخاص:**

وإذا كان القرآن الكريم كله محكمًا بمعنى: أنه متقن لا يتطرق إليه الخلل والنقص، وهو كله متشابه بمعنى: أن آياته يشبه بعضها بعضًا في الإعجاز والفصاحة، فإنه قد وردت آية قرآنية تصف القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه، قال تعالى: "**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**" ، فلا بد أن يكون للإحكام والتشابه هنا معنى غير المعنى الأول، وهو خاص ببعض الآيات دون بعض، ولهذا وقع الاختلاف بين العلماء في تعريف المحكم والمتشابه هنا.

**ومن هذه أقوال:**

**الأول**: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه ؛كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.

أما قوله **إما بالظهور**، فالمراد بالظاهر :" هُوَ اللَّفْظ الَّذِي يغلب على الظَّن فهم معنى فِيهِ مَعَ تَجْوِيز غَيره."[3]

ومنه قوله تعالى :"وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ"[الأنعام:121]، ظاهره تحريمُ مَتروكِ التسميَةِ، فأوَّلَهُ الشافعيَّةُ: بدليلٍ آخَرَ عندَهم بالحَمْلِ على ما ذُكِرَ عليهِ اسمُ

---

1)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (1599)كتاب المساقاة،باب:"أخذ الحلال وترك الشبهات"ج3 ص1219

2 ) جامع العلوم والحكم: ابن رجب ص58

3 )تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة: محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدَّهَّان (المتوفى: 592هـ)المحقق: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م ج1 ص93

(الشُّركاءِ) فذُبِحَ لغيرِ اللهِ تعالى.

وهذهِ الآيَةُ على قولِ الْحَنفيَّةِ مِنْ قِسْمِ الظاهرِ، وعلى قولِ الشافعيَّةِ مِنْ قِسْمِ الْمُؤَوَّلِ.

**الثاني:** المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه.

**الثالث:** المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا ،والمتشابه ما احتمل أوجها.[1]

ويريدون بالأول النَّص هُوَ اللَّفْظ الدَّال على معنى وَاحِد بِحَيْثُ لَا يسوغ فِيهِ احْتِمَال غَيره الْبَتَّةَ "فقد حَده الشَّافِعِي بأنه خطاب يعلم ما أريد به من الحكم ."[2]

ومنه قوله تعالى:"**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ "[النساء:12]**

وقوله تعالى "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ**.....[النساء :23]

وقوله تعالى "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ"[**المائدة :3]

وقوله تعالى "**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**"[النور :3]

وقوله تعالى "**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**":[النور :4]

**الرابع:** المحكم ما استقل بنفسه ،والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

ومنه المحكم قوله تعالى "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**"[البقرة :255]فلا تحتاج لفهما أن ترد إلى غيرها من الآيات فهذا محكم ،أما قوله تعالى :" **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** "[الأنعام:3] فقد يقول إنسان الله في السماوات والأرض ،فترد إلى آيات أخرى لفهمها ؛ مثل قوله تعالى "**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**" (سورة طه:5)،وقوله تعالى :"**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**

---

1)الإتقان في علوم القرآن:السيوطي ج3 ص4،البحر المحي في أصول الفقه :الزركشي ج2 ص190

2)ينظر:المعتمد :أبو الحسن البصري ج1 ص249،البحر المحيط في أصول الفقه :الزركشي ج2 ص205

**وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**" (سورة النحل:**50**)ومنه أيضا ومثلوا له بكيفية الصلاة ومقادير الزكاة وكيفية الحج وغيرها من النصوص التى وردت في القرآن مجملة ،ولم يكن ليعلمها المسلم إلا بالرجوع إلى سنة الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

**الخامس:**المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال.[1]

**أقسام المتشابه**

**والتشابه في بعض آيات القرآن الكريم ثلاثة أنواع:** [2]

الأول: التشابه من جهة اللفظ.

الثاني: التشابه من جهة المعنى.

الثالث: التشابه من جهة اللفظ والمعنى.

**أما الأول:وهو التشابه من جهة اللفظ:**

وهو ما كان خفاء معناه ناشئًا من جهة اللفظ وهو نوعان:

أ– تشابه لفظي يرجع إلى المفردات:

إما لغرابتها وقلة استعمالها مثل: "وَفَاكِهَةً وَأَبًّا"[3]

فأخرج أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي قَالَ: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ –، قَالَ: أَيّة أَرْضٍ تُقِلُّني ، أَوْ أيَة سَمَاءٍ تُظِلُّني، أَوْ أَيْنَ أَذْهَبُ، وَكَيْفَ أَصْنَعُ إِذَا أَنَا قُلْتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أراد الله بها؟

وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر "وفاكهة وأبا" ، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه ،فقال: إن هذا لهو الكَلَفُ يا عمر![4] وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري: ما الأبّ».

---

1 )ينظر:المسوردة في أصول الفقه :ابن تيمية دار الكتاب العربيص162، الإتقان في علوم القرآن ج3

2 )الاتقان في علوم القرآن ج3 ص11

3 ) سورة عبس: الآية 31.

4 ) فضائل القرآن (ص 227) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (10/ 512) عن يزيد به، ورواه الحاكم في المستدرك (2/ 514) من طريق يزيد عن حميد بِهِ، وَقَالَ: "صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ

،لأن عدم معرفة معنى كلمة من القرآن لا تضر المسلم ما دام حافظا للقرآن عاملا بكل ما فيه من الأحكام والآداب.[1]

وكقوله: **"فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّون"** [2] **"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيم"** [3] **"وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِين"** [4] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "لا أدري ما الأواه وما الغسلين"[5].

وإما لجهة الاشتراك اللفظي كـ"القرء" في قوله: **" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ "** [6]؛ حيث يطلق على الحيض والطهر، ومثل عسعس في قوله تعالى: **"وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس"** [7] فإنه يطلق على إقبال الليل وإدباره.

ب- تشابه لفظي يرجع إلى التركيب للألفاظ وهي الجمل:

---

وَلَمْ يخرجاه". وقد انقسم الصحابة في صدر الإسلام الى قسمين: متحرج من القول في القرآن ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعبد الله بن عمر ،وكان عبد الله يأخذ على عبد الله بن عباس تفسيره القرآن بالشعر، والقسم الثاني الذين لم يتحرجوا وفسروا القرآن حسب ما فهموا من الرسول أو حسب فهمهم الخاص بالمقارنة الى الشعر العربي وكلام العرب ومن هؤلاء علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس ،ومن أخذ عنهما وقد وقف ابن عباس على رأس المفسرين بالرأي المتخذين شعر العرب وسيلة الى كشف معاني القرآن وكان علي بن أبي طالب يثني على عبد الله بن عباس

[ينظر: إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)الطبعة : الرابعة ، 1415 هـ ج5 ص305

1 )المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)الناشر: مكتبه السنة – القاهرة الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م ص30

2)سورة الصافات: الآية 94.

3)سورة التوبة: الآية 114.

4 )سورة الحاقة: الآية 36

5 ) التحرير والتنوير: ابن عاشور ج3 ص159

6 ) سورة البقرة: الآية 228.

7 ) سورة التكوير: الآية 17

وهو ثلاثة أقسام: **أحدها:** لاختصار الكلام كقوله:"**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**" [1] والمعنى ألا تقسطوا في اليتامى إذا تزوجتموهن.

**ثانيها:**بسط الكلام؛ كقوله: "**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**"[2] ففي ذكر الكاف بسط للكلام، فاشتبه المراد بذكرها مع ظهور المعنى بدونها. قد اختلَفَ فيه المفسرون في معنى الكاف في قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) والكاف هنا، على أي شيء تدل ؟ على أقوال:

– القول الأول :أنَّ الكاف هذه بمعنى مِثْل، فيكون معنى قوله "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" ليس مِثْلَ مِثْلِه شيء، مبالغة في النفي عن وجودِ مِثْلِ المِثْل، فكيف يوجد المِثْلْ، فنَفْيُه من باب أولى.

–القول الثاني أنَّ الكاف في قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) هذه صلة، وهي التي تُسَمَّى عند النحويين زائدة؛ وزيادتها ليس زيادَةً للفظ، وإنما هو زيادَةٌ لها لكون المعنى زائداً. فليست زائدة بمعنى أن وجودها وعدم وجودها واحد، حاشا وكلا أنْ يكون في القرآن شيء من ذلك، وإنما تُزادْ ليكون مبالغةً في الدلالة على المعنى. فقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) تكون الكاف صلة ومجيء الصلة في مقام تَكْرَارِ الجملة تأكيداً.

**ثالثها:** نظم الكلام كقوله تعالى: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا،قَيِّماً**"[3]فجاءت جملة: "وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا" فاصلة بين الصفة والموصوف وأصل الكلام: أنزل على عبد الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا.وكقوله:"**إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ،يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**"[4]ففصل بين المصدر ومعموله وأصل الكلام وإنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر.

**الثالث:** التشابه من جهة اللفظ والمعنى:

**وهو خمسة أنواع:**

---

1 ) سورة النساء: الآية 3

2 ) سورة الشورى: الآية 11

3 ) سورة الكهف: الآيتين 1، 2.

4 ) سورة الطارق: الآية 8، 9.

**الأول:**

من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو:"**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِين حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** " [1].

قال أبو بكر الجصاص:" عُمُومُهُ يَقْتَضِي قَتْلَ سَائِرِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ إلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ السَّيْفُ ،إلَّا أَنَّهُ تَعَالَى خَصَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بِإِقْرَارِهِمْ عَلَى الجزية بقوله تَعَالَى" **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**" [2]

**الثاني:**

من جهة الكيفية كالوجوب والندب،كقوله تعالى:"**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**" [3]ذهب الجمهور إلى أن الأمر في قوله تعالى "فانكحوا"للإباحة مثل الأمر فيقوله تعالى وَكُلُوا وَاشْرَبُوا "[البقرة :187]وقال أهل الظاهر:النكاح واجب وتمسكوا بظاهر هذه الآية لأن الأمر للوجوب ،وهم محجوبون بقوله تعالى" **وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** "[البقرة:25].قال الإمام الفخر: فحكَمَ تعالى بأن ترك النكاح في هذه الصورة خيرٌ من فعله، فدل ذلك على أنه ليس بمندوب فضلًا عن أنه واجب.[4]

**الثالث:**

---

1) سورة التوبة: الآية 5.

2)التوبة :الآية 29 ،ينظر:أحكام القرآن ج4 ص269

3) سورة النساء: الآية 3.

4)مفاتيح الغيب ج9 ص486

من جهة الزمان؛كالناسخ والمنسوخ؛نحو قوله تعالى:"**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه**"[1]. قال عبد الله بن مسعود:" **نَسَخَهَا "فَاتَّقُوا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**"[2]

**الرابع**:من جهة المكان؛كقوله تعالى:"**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**"[3]

عن البراء قال: كانوا في الجاهلية إذا أحرموا، أتُوا البيوت من ظهورها، ولم يأتوا من أبوابها، فنزلت:"وليس البر بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها"..الآية[4]

وكقوله:"**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْر**"[5]فإن من لا يعرف عادة أهل الجاهلية في ذلك يتعذر عليه تفسير هذه الآية.[6]

عن ابن عباس: (إنما النسيء زيادة في الكفر) ، قال: فهو المحرَّم، كان يحرَّم عامًا، وصفرُ عامًا، وزيد صفرٌ آخر في الأشهر الحُرُم، وكانوا يحرمون صفرًا مرة، ويحلُّونه مرة، فعاب الله ذلك.[7]

**<u>أقوال العلماء في معرفة المراد من المتشابه</u>**

ذكر الألوسي أقوال العلماء في معرفة المتشابه من القرآن،وفيه قولان[8]: **<u>القول الأول</u>** :الراسخون في العلم ممن يعلم تأويل المتشابه .

واستدلوا على ذلك بما ورد في قوله تعالى"**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ .**"[7]

---

1) سورة آل عمران: الآية 102.

2)سورة التغابن الآية 16

3) سورة البقرة: الآية 189.

4 )تفسير الطبري ج3 ص555

5 ) سورة التوبة: الآية 37.

6 ) انظر المفردات: الأصفهاني ص254، 255، وعمدة الحفاظ: السمين ج2 ص1298، 1300، والمحكم والمتشابه: المطرودي 65، 70.

7)تفسير الطبري ج14 ص246

8)روح المعاني ج2 ص82

فقالوا أن قوله تعالى "وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ"عطف على جملة" يَقُولُونَ" سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر ما أنهم قد تجردت عقولهم عما يغشاها من الركون إلى الأهواء الزائغة المكدرة لها، واستعدوا إلى الاهتداء إلى معالم الحق والعروج إلى معارج الصدق، وللإشارة إلى ذلك وضع الظاهر موضع الضمير هذا على تقدير أن يكون الوقف على "الرَّاسِخُونَ".

**القول الثاني:**لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله.

وهو على تقدير أن يكون الوقف على" إِلَّا اللَّهُ" وهو الذي ذهب إليه الحنفية القائلون بأن المتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه ،فالراسخون مبتدأ وجملة يَقُولُونَ خبر عنه.

**ورجح الأول بوجوه:**

**أولا:** فلأنه لو أريد بيان حظ الراسخين مقابلا لبيان حظ الزائغين لكان المناسب أن يقال وأما الراسخون فيقولون.

**ثانيا:** فلأنه لا فائدة حينئذ في قيد الرسوخ ؛بل هذا حكم العالمين كلهم.

**ثالثا:** فلأنه قد ثبت في الصحيح أنه –صلى الله تعالى عليه وسلم– دعا لابن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»

ولو كان التأويل مما لا يعلمه إلا الله تعالى لما كان للدعاء معنى.

**رابعا:** فلأن ابن عباس –رضي الله تعالى عنه– كان يقول: أنا ممن يعلم تأويله.

**خامسا:** لأنه سبحانه وتعالى مدح الراسخين بالتذكر في هذا المقام ،وهو يشعر بأن لهم الحظ الأوفر من معرفة ذلك.

**سادسا** :فلأنه يبعد أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

وقد ورد بعض الآثار في ذلك منها: ما رواه أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال: "إنما هلك مَنْ كان قبلكم بهذا،ضربوا كتاب الله بعضه ببعض،وإنما أُنْزِلَ كتاب الله يصدِّقُ بعضه

بعضًا، فلا تكذِّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه"[1].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:"نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر، ثلاثًا، ما عرفتم منه فأعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"[2]

ويمكن أن نحمل قراءة الوقف على لفظ الجلالة "الله" على أن المراد بذلك الغيبيات التى لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى،وهو ما أطلق عليه العلماء التشابه المطلق الذي لا يعلمه إلا الله ،وهو مقابل للتشابه النسي الذي يعلمه بعض الراسخين في العلم كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في حالة الوصل.

**حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات[3]**

كَثُرَ القيل والقال في المتشابهات من آيات الصفات، واحتدم النزاع في تأويلها، ووقعت الفتنة بين طوائف العلماء وكفَّر بعضهم بعضًا.،فكان علمهم نقمة عليهم [4] ولكنهم مع اختلافهم في تأويلها قد اتفقوا على أمرين:

**الأول:** صرف هذه الآيات عن ظواهرها المستحيلة في حق الله تعالى، لكونه مغايرًا لجميع الخلق، كما هو معلوم من قوله تعالى:"**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**" وحملها على معانٍ تليق بذاته –جل وعلا،وذلك بردِّ المتشابهات إلى المحكَمَات، وهي التي لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا من التأويل، وهو الوجه الذي يريده الشارع الحكيم دون سواه.

**الثاني:**أن المتشابه إن كان له تأويل واحد يفهم منه فهمًا قريبًا وجب القول به إجماعًا.وذلك مثل قوله تعالى:"**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**" .

---

1)أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (6741)مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ج11 ص354 ،والبخاري في خلق أفعال العباد ج1 ص63،البيهقي في شعب الإيمان ج3 ص527

2)أخرجه أبو يعلى الموصلى في مسنده برقم(6016)مسند :"أبي هريرة"ج10 ص410

3)ينظر:دراسات في علوم القرآن :محمد بكر إسماعيل ص193

4) قال : الْفَقِيه الزَّاهِد ابو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن مَسْعُود الألبيري رَحْمَة الله عَلَيْهِ:

–إِذا مَا لم يفدك الْعلم خيرا ..... فَخير مِنْهُ أَن لَو قد جهلتا

–وَإِن أَلْقَاك فهمك فِي مهاو ..... فليتك ثمَّ ليتك مَا فهمتا

فإن الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعًا،وليس لها بعد ذلك إلّا تأويل واحد، وهو الكينونة معهم بالإحاطة علمًا وسمعًا وبصرًا وقدرة وإرادة.

وكقوله تعالى: "**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**"[1]

فالمراد بجنب الله حقَّه وما يجب له، كما تقتضيه لغة العرب، ليس له معنى يجب أن يُحْمَل عليه غيره.**واختلفوا فيما سوى ذلك على ثلاثة مذاهب:**

**الأول:** مذهب السَّلَف، وهو أقومها طريقة، وأهداها سبيلًا، فقد قرروا أن الإيمان بالمتشابهات، وتفويض أمر العلم بها إلى الله تعالى ورسوله واجب ، لقيام الأدلة القطعية على خلافه.

فهم لا يبحثون فيها إلا بالقدر الذي يصحِّحُون به اعتقادهم بأن الله –عز وجل– منَزَّهٌ عَمَّا لا يليق بذاته من المشاركة والمماثلة، وما إلى ذلك من صفات النقص، تعالى الله عنها علوًّا كبيرًا.

فما دلَّت عليه النصوص الشرعية الصريحة عملوا به، وما تشابه عليهم فُهِمَ المراد منه، وكان متعلقًا بالعقيدة، آمنوا به وأجْرَوْه على ظاهره، وفوضوا علم كَمِّه وكيفه وحقيقته إلى الله تعالى، وأثبتوا له –جل شأنه– ما أثبته لنفسه من غير خوض في تفصيله، تأدُّبًا مع خالقهم –جل وعلا، ووقاية لأنفسهم من وعيد من أفتى بغير علم، وتقوَّل على الله ما لم يقله.

فالمتشابهات بوجه عام لا يتعيّن المراد منها على التحقيق إلّا بنصٍّ صحيح صريح من الشرع، وحيث لا يكون هناك نصٌّ صحيح صريح بقي المتشابه على حاله، فتكون دلالته على المراد ظنية، والأمور الاعتقادية لا يكفي فيها الظن،بل لا بُدَّ فيها من اليقين، ولا سبيل إلى اليقين في معرفة المتشابه من الصفات، وهي من الأمور العقدية، فوجب التوقف فيها وعدم الخوض في تأويلها، وردَّها في جملتها إلى المحكَمِ الذي لا يحتمل إلّا وجهًا واحدًا.وعماد المحكم في باب الصفات قوله تعالى: "**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**"

هذا هو خلاصة مذهب السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان([2])

---

1 )سورة الزمر :56

2 ) يقول الشيخ محمد سالم بن عبد الودود في منظومته :

فهو السميع والبصير المتصف  بما به في نوعي الوحي وصف

وقد استدلُّوا على ما ذهبوا إليه بنصوص من الكتاب والسُّنَّة وأقوال علمائهم الأعلام، ووجدوا فيها السلامة لدينهم، والنجاة من عذاب ربهم.

أما الكتاب ،فقوله تعالى من سورة آل عمران:

**"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"**[1] .

فقد أخبر الله –عز وجل– أنه لا يَتَّبِعُ المتشابه، ولا يَعْمَدُ إلى تأويله ابتغاء الفتنة، إلّا الذين في قلوبهم زيغ، وأما الراسخون في العلم فيقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا، ولا يخوضون في تأويل ما لا علم لهم به على التعيين.

ويقفون في قراءة الآية على لفظ الجلالة، ويبتدئون بقوله: "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا" .

---

من غير ما تحريف أو تمثيل له ولا تكييف أو تعطيل

.....

وما نقول في صفات قدسه فرع الذي نقوله عن نفسه

فإن يقل جهميهم كيف استوى كيف يجي فقل لهم كيف هو

لا فرق بين ما سميه يعد وصف لنا كعلم أو جرح كيد

1 )آل عمران الآية :7

## الفصل الثاني:العام والخاص([1])

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وفي اللغة العربية صيغ عامة تشمل جماعة المخاطبين،وفيها ألفاظ خاصة، وأحيانًا يكون اللفظ عامًّا ويراد به الخصوص والعكس كذلك.

وفي القرآن الكريم ألفاظ تحت هذا النحو، ففيه صيغ تفيد العموم ويراد بها العموم، وألفاظ تفيد الخصوص ويراد بها الخصوص، وألفاظ تفيد العموم إلا أنه يراد بها الخصوص، وألفاظ تفيد الخصوص إلا أنه يراد بها العموم، والقرائن توضح المراد وتزيل اللبس، ويبقى بعد ذلك ألفاظ هي موضع خلاف بين العلماء تؤثر في استنباط بعض الأحكام.

وهذا يظهر مكانه علم "العام والخاص" وأثره في استنباط الأحكام؛ ولذا نجد بسط مباحثه في كتب أصول الفقه خاصة، ونظرًا لتعلق الاستنباط بآيات القرآن فقد درسه أيضًا أرباب العلوم القرآنية، وأفردوه بمباحث خاصة في بطون مؤلفاتهم، وسأعرض لبعض قضاياه المتعلقة بالقرآن، معرضًا عن المباحث الأصولية الخاصة.[2]

**العام لغة:**

العَمَمُ: العَمَم: عِظَم الخَلْق فِي النَّاس وَغَيرهم. وغيرهم، والعمم: الجسم التام، ... وأمر عممٌ: تام عام.. وعمهم الأمر يعمهم عمومًا: شملهم، يقال: عمهم بالعطية، والعامة: خلاف الخاصة."[3]

**وفي الاصطلاح:**

قال الإمام الرازي في تعريف العام أنه :" اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، من غير حصر. [4]

قال الدكتور فهد الرومي :فقولنا: "الرجال" يستغرق جميع ما يصلح له.

ولا يدخل فيه النكرة مثل "رجل"؛ لأنه يصلح لكل واحد من الرجال، لكنه لا يستغرقهم.

---

1 )ينظر :دراسات في علوم القرآن:د فهد الرومي ص408

2 )دراسات في علوم القرآن :فهد الرومي ص408

3 ) لسان العرب: ابن منظور مادة "عمم" ج12 ص426.

4 )المحصول:الرازي ج2 ص309

ولا التثنية ولا الجمع، لأن لفظ "رجلان" و"رجال" يصلحان لكل اثنين وثلاثة، ولا يفيدان الاستغراق.

وقولنا: بحسب وضع واحد؛ للاحتراز من اللفظ المشترك، أو الذي له حقيقة ومجاز، فإن عمومه لا يقتضي أن يتناول مفهوميه معًا.

فإذا قلت: رأيت كل العيون.

فإن في لفظ العيون اشتراك حيث تشمل:

1- عيون الماء الجارية.

2- العيون المبصرة.. وغير ذلك.

وأنت لا تريد كل هذه المعاني، وإنما تريد أحدها. فلا يقتضي العموم أن يشمل كل معاني اللفظ؛ بل بحسب وضع أو معنى واحد من معانيه المختلفة. وقولنا: "من غير حصر" يخرج أسماء الأعداد فهي تدل على كثرة معينة محدودة، فإن كانت الكثرة كثرة معينة بحيث لا يتناول ما بعدها. فهو اسم العدد، وإن لم تكن الكثرة كثرة معينة فهو العام. [1]كقوله تعالى" **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**"[2]

**<u>وقيل في تعريفه أيضًا:</u>**

العام هو: اللفظ الدال على شيئين فصاعدًا، من غير حصر.[3]، **وهناك تعريفات أخرى كثيرة، وأشمل هذه التعريفات وأصحها هو الأول.**

وقد تعقب القرافي هذا التعريف بأجزائه، وبمجموع حده، ونقصه بأمور منها:

**أولًا:** جموع التكسير: وهي على قسمين:

1- جموع للقلة: من الثلاثة إلى العشرة وهي ما جاءت على أوزان:

---

1)دراسات في علوم القرآن ج1 ص409

2)سورة التوبة الآية 80

3)تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة : محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدَّهَّان (المتوفى: 592هـ)ت: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ج1 ص92

أ- أَفْعُل: أَفْلُس، وأَكْلُب.

ب- أفعال: أحمال.

ج- أفعلة: أقفزة، وأجربة.

د- فِعلة: صبية، غلمة.

وهذه ألفاظ تدل على أكثر من شيئين وليست عامة.

2- جمع الكثرة: وهي موضوعة لما فوق العشرة فيصدق عليها التعريف.

**ثانيًا:** ومنها ألفاظ نكرات مفردات وضعت لما فوق الاثنين، مع أنها ليست من العموم إجماعًا، مع صدق الحد عليها؛ نحو كثير، وعدد.

ثالثًا: ألفاظ من هذا النمط؛ مثل طائفة، فرقة، رهط، فإنها تتناول الثلاثة فصاعدًا من غير حصر ولا تفيد العموم.

**صيغ العموم:**

**وللعموم صيغ كثيرة تدل عليه، ذكر منها القرافي مائتين وخمسين صيغة، ومن أشهرها:**

1- كل: وهي أقوى صيغ العموم، وتدل عليه؛ سواء كانت للتأسيس، مثل: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْت" [1]، ومثل: "**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ**" [2]، أو للتأكيد مثل: "**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون**" [3]، ومثل: "**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**" [4]، ومثلها جميع: "**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**" [5] وديارًا: "**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارا**" [6].

2- الأسماء الموصولة: مثل: "**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا**

---

1 ) سورة آل عمران: الآية 185

2 ) سورة الرحمن: الآيتان 26، 27.

3 ) سورة الحجر: الآية 73

4 ) سورة الأنعام: الآية 102

5 ) سورة فاطر: الآية 10

6 ) سورة نوح: الآية 26

**إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** "[1] فالمراد كل من قال ذلك بدليل قوله تعالى. "**أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**."وقوله تعالى "**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا**" [2] و"**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَس**"[3] "**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاس**"[4] "**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ**" **[5]**.

3- أسماء الشرط مثل: "**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**" [6] "**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّه**" [7] "**أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**" [8][(9)].

4- أسماء الاستفهام:كقوله تعالى:"**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَه**" [10]"**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه**" [11][(12)]

5- المعرف بأل التي ليست للعهد [(1)]وإنما للاستغراق؛سواء كان جمعًا، مثل: "**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوء**" [2]، أو مفردًا مثل: "**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ**

---

1 ) سورة الأحقاف: الآية 17.

2 ) سورة النساء: الآية 16.

3 ) سورة البقرة: الآية 275.

4 ) سورة البقرة: الآية 164.

5 ) سورة النساء: الآية 15

6 ) سورة النساء: الآية 92.

7 ) سورة البقرة: الآية 197.

8 ) سورة الإسراء: الآية 110.

9 ) وأدوات الشرط إما أن تكون جازمة تجزم فعلين مثل :(إن) وهذا حرف خارج شرطنا ولا يفيد العموم والباقي أسماء تفيد العموم – (مَنْ – ما – مهما – متى – أيان – أين – أَنَّى – حيثما – كيفما – أَيّ.وغير جازمة مثل :إذا – لو – لولا – كلما – لَمَّا)

10 ) سورة البقرة: الآية 245

11 ) سورة البقرة: الآية 254

12 ) ومنه قوله تعالى : [فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ []الملك: 30]، وقوله : "مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] (القصص: 65[، وقوله") :فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ" التكوير: 26.[فأسماء الاستفهام هي(مَنْ – ما – متى – أين – كم – كيف – أي ، **وأما الهمزة، هل**، فهما حرفان لا يفيدان العموم.

**الرّبا"** [3] ، ومثل: **"وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا"** أو اسم جنس؛ وهو الذي لا واحد له من لفظه مثل الناس، الحيوان، الماء، التراب، فالناس في قوله تعالى: **"قُلْ**

---

1 ) فأما"العهدية "فهي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف تجعل مدلولها فردًا معينًا بعد أن كان مبهمًا شائعًا .وسبب هذا التعريف والتعيين يرجع لواحد مما يأتي:

– أن النكرة تذكر في الكلام مرتين بلفظ واحد، تكون في الأول مجردة من" أل "العهدية، وفي الثانية مقرونة" بأل "العهدية التي تربط بين النكرتين، وتحدد المراد من الثانية :بأن تحصره في فرد واحد هو الذي تدل عليه النكرة الأولى.نحو قوله تعالى" **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ.**" فكلمة" **رسول** "قد ذكرت مرتين؛ أولاهما بغير" أل "فبقيت على تنكيرها، وثانيتهما مقرونة بأل العهدية التي وظيفتها الربط بين النكرتين ربطًا معنويًّا يجعل معنى الثانية فردًا محدودًا محصورًا فيما دخلت عليه وحده، والذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها. وهذا التحديد والحصر هو الذي جعل الثانية معرفة؛ لأنها صارت معهودة عهدًا ذِكْريًّا، أي :معلومة المراد والدلالة، بسبب ذكر لفظها في الكلام السابق ذكرًا أدى إلى تعيين الغرض وتحديده بعد ذلك، وأن المراد في الثانية فردٌ معين؛ هو السابق، وهذا هو ما يسمى" :بالعهد الذِّكْري."

–وقد يكون السبب في تعريف النكرة المقترنة بأل العهدية هو أن" أل "تحدد المراد من تلك النكرة، وتحصره في فرد معين تحديدًا أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، وليس أساسه ألفاظًا مذكورة في الكلام الحالي. وذلك العلم السابق ترمز إليه" أل "العهدية وتدل عليه، وكأنها عنوانه. مثال ذلك؛ أن يسأل طالب زميله :ما أخبار الكلية؟ هل كتبت المحاضرة؟ أذاهب إلى البيت؟ فلا شك أنه يسأل عن كلية معهودة لهما من قبل، وعن محاضرة وبيت معهودين لهما كذلك .ولا شيء من ألفاظ السؤال الحالية تشير إلى المراد إلا" :أل"؛ فإنها هي التي توجه الذهن إلى المطلوب .وهذا هو ما يسمى" :**العهد الذهني "أو" :العهد العِلمي.**"

–وقد يكون السبب في تعريف تلك النكرة حصول مدلولها وتحققه في وقت الكلام، بأن يبتدئ الكلام خلال وقوع المدلول وفى أثنائه؛ كأن تقول" :اليوم يحضر والدي" ."يبدأ عملي الساعة"،" البرد شديد الليلة ... "تريد من" اليوم "و"الساعة "و"الليلة"؛ ما **يشمل الوقت الحاضر**

2 ) سورة البقرة: الآية 228

3 ) سورة البقرة: الآية 275

**أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس**"[1] تفيد العموم، أو مثنى كقوله تعالى: "**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْن**" [2] ؛ أي كل أختين لا يجوز الجمع بينهما.

وعلامة "أل" المستغرقة للجنس. أن يصح حلول "كل" محلها، وأن يصح الاستثناء من عمومها.

6- كل ما أضيف إلى معرفة؛ سواء كان مفردا، أو مثنى، أو جمعا، أو اسم جنس مثل "**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِه**" [3]"**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَة**" [4] "**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِين**" [5] **وفي الاستثناء هنا إشارة إلى عموم اللفظ.**

7- النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط مثالها في سياق النفي: قوله تعالى: "**فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَج**"[6] "**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُون**"[7] ،ومثالها في النهي: "**وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَات أبدا**"[8] ،فإن "أحد" نكرة بعد نهي فتفيد العموم، ومثل "**فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا**"[9]،ومثالها في الشرط: "**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ**" [10].

**أما إذا كانت النكرة في سياق الإثبات فلا تفيد العموم، فإذا قلت: ما رأيت رجلًا فهو نفي يفيد العموم، وإذا قلت: رأيت رجلًا فهو إثبات لا يفيد العموم.**

**<u>أقسام العام:</u>**

**وأقسام العام ثلاثة:**

---

1 ) الناس:1

2 ) سورة النساء: الآية 23.

3 ) سورة النور: الآية 63.

4 ) سورة التوبة: الآية 103

5 ) سورة الحجر: الآية 42

6 ) سورة البقرة: الآية 197

7 ) سورة الصافات: الآية 47

8 ) سورة التوبة: الآية 84

9 ) سورة الإسراء: الآية 23

10 ) سورة التوبة: الآية

**الأول- العام الذي لا يدخله التخصيص:**

وهو العام الذي لا يمكن تخصيصه، وهذا النوع قليل جدًّا؛ إذ الأصل في العموم أن يقبل التخصيص.

ومثال هذا النوع قوله تعالى: "**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**" [1] "**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**" [2] "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**" [3] "**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" [4] فالعموم هنا لا يمكن تخصيصه.

**الثاني- العام الذي يدخله التخصيص:**

وهو الذي يمكن تخصيصه، ولعل هذا النوع هو أشهر أنواع العموم، والذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاق العموم، وهو ميدان الخلاف بين العلماء في تخصيصه أو بقائه على عمومه.

وأمثلته في القرآن كثيرة؛ منها: "**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**"[5] فلفظ "الناس" عام خصص بقوله: "**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**".

ومنها قوله تعالى: "**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**" [6]. فلفظ "أحدكم" يفيد العموم وخصص بقوله: "**إِنْ تَرَكَ خَيْرًا**".

ومنها قوله تعالى: "**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**" [7]، فلفظ "المطلقات" عام يشمل الحامل وغير الحامل ،وخصص بقوله تعالى: "**وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**" [8] وغير ذلك من الأمثلة.

---

1 ) سورة النساء: الآية 176

2 ) سورة الكهف: الآية

3 ) سورة النساء: الآية 23.

4 ) سورة البقرة: الآية 284

5 ) سورة آل عمران: الآية 97

6 ) سورة البقرة: الآية180

7 ) سورة البقرة: الآية 228

8 ) سورة الطلاق: الآية 4

**الثالث– العام المراد به الخصوص:**

وهو ما دل لفظه على العموم ودلت القرينة على الخصوص، كقوله تعالى "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ**"[1]،والمراد بالناس عبد الله بن سلام[2]، فالآية دعوة لليهود إلى أن يؤمنوا كما آمن عبد الله بن سلام –رضي الله عنه– وقد كان يهوديًّا، ثم إن الناس لم يؤمنوا كلهم، فدلت القرينة على وجوب حمله على فئة منهم.

ومن أمثلته أيضًا قوله تعالى:"**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**"[3]

قال الزركشي: "وعمومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعًا، والمراد بعضهم؛لأن القائلين غير المقول لهم، والمراد بالأول نعيم بن مسعود والثاني: أبو سفيان وأصحابه".

قال الفارسي: ومما يقوي أن المراد بالناس في قوله: "**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**" واحد، قوله: "**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**"[4] فوقعت الإشارة بقوله: "ذَلِكُمُ" إلى واحد بعينه، ولو كان المعني به جمعًا لكان إنما أولئكم الشياطين ، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ"[5]، وإنما وصف نعيم بأنه الناس؛ لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان[6].

ومن أمثلته قوله تعالى:"**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**" [7]والمراد بالناس هنا رسول الله ﷺ ومن أمثلته "**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**" [8] والمراد إبراهيم عليه السلام أو العرب من غير قريش.

---

1 ) سورة البقرة: الآية 13

2 ) البرهان: الزركشي ج2 ص221

3 ) سورة آل عمران: الآية 173

4 ) سورة آل عمران: الآية 175

5 ) البرهان: الزركشي ج2 ص220

6 ) أصول التفسير وقواعده: خالد العك، ص387.

7 ) سورة النساء: الآية 54

8 ) سورة البقرة: الآية 199

ومنها: "**فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ**" [1] والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام.

**ونستطيع بعد هذا أن نجمل أقسام العام ،فنقول:**

1- عام مقيد بالعموم بحيث لا ينفك عن العموم مثل: "**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[2].

2- عام مطلق يمكن أن يبقى على عمومه ويمكن تخصيصه مثل: "**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**"[3] فلم لم يقل: "**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**" لبقي عامًّا فهو قابل للعموم والخصوص.

3-عام مقيد بالخصوص، لا يمكن أن يراد به العموم، ولا ينفك عن الخصوص مثل: "**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**" [4].

**<u>الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام الذي يدخله التخصيص (5)</u>**:

هناك فروق بين العام المراد به الخصوص والعام الذي يمكن أن يدخله التخصيص منها:

1- أن العام المراد به الخصوص لا يراد شموله لجميع الأفراد،ويدرك ذلك من أول وهلة[6]،وأما العام الذي يدخله التخصيص.فأريد به العموم في أول الأمر،وشموله لجميع أفراده، فلفظ "الناس" في قوله تعالى: "**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**"[7] الآية يدرك السامع لأول وهلة خصوصها، وأنه لا يمكن أن يراد بها العموم لامتناع ذلك، أما لفظة "الناس" في قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**"يدرك السامع أن المراد بها جميع الناس، ولا يحوله عن هذا العموم إلا قوله: "**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**" .

---

1 ) سورة آل عمران: الآية 39.

2 ) سورة البقرة: الآية 284.

3 ) سورة آل عمران: الآية 97.

4 ) سورة البقرة: الآية 199

5 ) انظر الإتقان: السيوطي ج2 ص21، 22.

6 ) وفي لسان العرب: "ولقيته أول وهْلةٍ ووهَلة وواهِلة؛ أي أول شيء، وقيل: هو أول ما تراه، وفي الحديث فلقيته أول وهلة. أي أول شيء". ج11 ص737

7 ) سورة آل عمران: الآية 97.

2- الأول مجاز قطعًا؛ لنقل اللفظ عن موضعه الأصلي وهو العموم، واستعماله في بعض أفراده، بخلاف الثاني فاستعمل اللفظ بمعناه الحقيقي، وعليه أكثر الشافعية، وكثير من الحنفية، وجميع الحنابلة، ونقله الجويني عن جميع الفقهاء.

3- أن قرينة الأول عقلية لا تنفك عنه، وقرينة الثاني لفظية وقد تنفك عنه.

4- أن الأول يصح أن يراد به واحدًا اتفاقًا، مثل: "**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**"[1] يعني إبراهيم عليه السلام، أما الثاني ففي تخصيص عمومه بحيث لا يراد به إلا واحد بعد العموم خلاف[2].

**الخاص لغة:**

يقال: خصه بالشيء يخصه خصًّا.. أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد.[3]

**وفي الاصطلاح:**

الخاص هو اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر.

أما التخصيص فهو: قصر العام على بعض أفراده[4].وقيل: إخراج بعض ما تناوله الخطاب عنه.[5]،والمراد من قولنا: "قصر العام" قصر حكمه، وإن بقي لفظه على عمومه، **فيكون العموم باللفظ لا بالحكم، وبذلك يخرج العام الذي يراد به الخصوص،** فإن ذلك قصر إرادة لفظ العام لا قصر حكمه.[6]

---

1 ) سورة آل عمران: الآية 39.

2 ) انظر تفصيل ذلك في إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر: د. عبد الكريم النملة ج6 ص179، 182.

3 ) لسان العرب: ابن منظور ج7 ص24

4 ) إتحاف ذوي البصائر ج6 ص211.

5 ) المحصول: الرازي ج1 ق3 ص7

6 ) إتحاف ذوي البصائر ج6 ص211.

ومثال التخصيص قوله تعالى:"**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**"[1] فلفظ المطلقات عام يشمل كل مطلقة، لكن حكمه مخصوص بقوله تعالى: "**وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**" [2].

**حكم تخصيص العموم:**

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: اتفق أهل العلم سلفًا وخلفًا على أن التخصيص للعمومات جائز، ولم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد به، وهو معلوم من هذه الشريعة المطهرة، لا يخفى على من له أدنى تمسك بها"[3].

وهو جائز مطلقًا، سواء كان أمرًا مثل: "**وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا**" [4]، أو نهيًا مثل: "**وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**" [5]، أو خبرًا مثل: "**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**" [6].

**الفرق بين التخصيص والنسخ:**

**بين التخصيص والنسخ فروق منها[7]:**

1- أن التخصيص يدل على أن ما خرج عن العموم لم يكن مرادًا، والنسخ يدل على أن المنسوخ كان مرادًا.

2- أن النسخ يشترط تراخيه عن المنسوخ، والتخصيص يجوز اقترانه كالتخصيص بالصفة والشرط والاستثناء.

---

1 ) سورة البقرة: الآية 228.

2 ) سورة الطلاق: الآية 4

3 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ص143.

4 ) سورة النور: الآية 33

5 ) سورة البقرة: الآية 222

6 ) سورة الحجر: الآية 30، 31

7 ) انظر المحصول: الرازي ج1 ق3 ص9، 11، والعقد المنظوم في الخصوص والعموم: القرافي ج2 ص177، 178.

3- أن النسخ رفع الحكم بعد ثبوته، والتخصيص بيان للمحل الذي لم يثبت الحكم فيه؛ بمعنى أن النسخ يثبت فيه الحكم ثم يرفع،ومن أمثلته قوله تعالى "**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**" [1] فهي ناسخة لقوله تعالى "**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"[2]

أما التخصيص فإن الحكم في المخصوص لم يثبت فيه أصلًا، فلا يحتاج إلى رفع.

4- أن التخصيص قد يقع بخبر الواحد وبالقياس، والنسخ لا يقع بهما.

5- أن التخصيص يكون في الأخبار، والنسخ لا يقع فيها.

6- أنه لا يجوز تخصيص شريعة بشريعة، أما النسخ فيجوز؛ كما نسخت النصرانية بالإسلام.

7- أن التخصيص لا يرد إلا على العام، أما النسخ فيرد على العام والخاص.وبهذا يظهر أن النسخ ليس بتخصيص.

**<u>أقسام المخصص</u>**

والمخصص ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: المخصص المتصل،**وهو خمسة أنوع هي:**

1- الاستثناء:

كقوله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ" [3] وكقوله سبحانه: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ"[4]

---

1 )سورة البقرة آية 234

2 )سورة البقرة آية 240

3 ) سورة القصص: الآية 88.

4 ) سورة النحل: الآية 106.

**2- الصفة:**

والمراد بها الصفة المعنوية على ما حققه علماء البيان، لا مجرد النعت المذكور في علم النحو، قال الجويني: الوصف عند أهل اللغة معناه التخصيص، وقال المازري: ولا خلاف في اتصال التوابع، وهي النعت والتوكيد والعطف والبدل.[1]

وعلى هذا فالمراد بالصفة هنا كل ما أشعر بمعنى يتصف به أفراد العام؛ سواء كان الوصف نعتًا، أو عطف بيان، أو حالًا؛ وسواء كان مفردًا، أو جملة، أو شبه جملة.[2]

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ"[3] فلفظ "فتياتكم" عام يشمل المؤمنات والكافرات، لكنه خصص بوصف "المؤمنات".أَن الْوَاجِد لطول الْحرَّة لَا يجوز لَهُ نِكَاح الْأمة عند بعض الفقاء لمَفْهُوم قَوْله تَعَالَى "وَمن لم يسْتَطع مِنْكُم طولا أَن ينْكح الْمُحْصنَات الْمُؤْمِنَات فَمن مَا ملكت أَيْمَانكُم من فَتَيَاتكُم الْمُؤْمِنَات"

وَمِنْهَا أَن نِكَاح الْأمة الْكِتَابِيَّة غير جَائِز عندنَا لمَفْهُوم قَوْله تَعَالَى "**من فَتَيَاتكُم الْمُؤْمِنَات**"خص الْأمة المؤمنة بِالذكر "[4]

ومن الأمثلة قوله تعالى: "**وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**"[5] فلفظ "نِسَائِكُمُ" يشمل جميع الزوجات المدخول بهن، وغير المدخول بهن ،ولكن خصص العموم بوصف "اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ".

---

1 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ص153 "بتصرف".

2 ) انظر إتحاف ذوي البصائر: النملة ج6 ص339؛ والعقد المنظوم: القرافي ج2 ص376.

3 ) سورة النساء: الآية 25.

4 )ينظر :تخريج الفروع على الأول:أبو المناقب الزنجاني بتصرف ص156

5 ) سورة النساء: الآية 23.

**3- الشرط:**

ومن أمثلته قوله تعالى: **"وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ"**[1] فلفظ **"أزواجكم"** عام يشمل ذات الولد وغيرها، وخصص بالشرط "إن لم يكن لهن ولد" فالزوجة التي يرث الزوج نصف مالها. هي غير ذات الولد.

ومن الأمثلة قوله تعالى: **"كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"**[2] فقوله "أحدكم" عام يوجب الوصية على من ترك مالا وغيره، وخصص بالشرط "إن ترك خيرًا"، فأصبحت الوصية واجبة على من ترك مالًا دون الآخر.

ومن ذلك قوله تعالى: **"وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا"**[3]

فالاسم الموصول "الذين" يفيد العموم وخصص بشرط "إن علمتم فيهم خيرا".

**4- الغاية:**

والمراد بها: نهاية الشيء المقتضية لثبوت الحكم قبلها، وانتفائه بعدها ولها لفظان: "حتى" و"إلى".

ومثال الأول: "وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ"[4]

**ومثال الثاني:** "وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ" [5]

**5- بدل البعض من الكل:**

وذلك كقوله سبحانه:**"ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ"**[6] فقوله: "عموا وصموا" يفيد العموم وخصص ببدل البعض "كثير منهم".

---

1 ) سورة النساء: الآية 12.

2 ) سورة البقرة: الآية 180.

3 ) سورة النور: الآية 33.

4 ) سورة البقرة: الآية 222.

5 ) سورة المائدة: الآية 6.

6 ) سورة المائدة: الآية 71

وكقوله تعالى: "**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**"[1] فلفظ "**الناس**" يفيد العموم وخص بالبدل "من استطاع إليه سبيلا" بدل بعض من كل، هذه أنواع المخصص المتصل.

**القسم الثاني: القسم المنفصل.**

وهو أن يكون المخصص في موضع آخر غير متصل باللفظ العام اتصالًا لفظيًّا.وهو أنوع منها:

1- **التخصيص بآية:**

فقوله تعالى: "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ" [2] عام يشمل كل مطلقة، إلا أنه خص الحوامل في قوله تعالى: "**وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**"[3] كما خص الآيسات من الحيض: "**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ**"[4]

وخص غير المدخول بها قال تعالى: "**إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ**"[5]

وقوله تعالى: "**وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ**" [6] يشمل كل مشركة كتابية كانت أو غير كتابية، وجاء التخصيص في قوله تعالى: "**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**"[7] ،فخص الكتابية من المشركات بجواز الزواج منها.

2- **التخصيص بالسنة قولًا كان أو فعلًا:**

فقوله تعالى بعد أن عدد المحرمات من النساء: "**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ**"[1]. مخصوص بحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ: "لا تنكح المرأة على

---

1 ) سورة آل عمران: الآية 97.

2 ) سورة البقرة: الآية 228.

3 ) سورة الطلاق: الآية 4

4 ) سورة الطلاق: الآية 4

5 ) سورة الأحزاب: الآية 49

6 ) سورة البقرة: الآية 221

7 ) سورة المائدة: الآية 5

عمتها ولا على خالتها" [2] حيث خص أربع نساء وهن عمة الزوجة وخالتها، وابنة أخيها، وابنة أختها.

وقوله تعالى: "**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**" [3] عام يدل على أن جميع الأولاد يرثون من آبائهم، لكنه مخصوص بقول الرسول –ﷺ: "لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم" [4] وبقوله ﷺ: "لا يرث القاتل شيئًا" [5]، وبما رواه أبو بكر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا نورث، ما تركناه صدقة" فخرج أولاد الأنبياء فإنهم لا يرثون.

وقوله تعالى في المطلقة البائن: "**حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**" [6] وهذا عام في العقد والوطء، وخصه قول الرسول ﷺ لامرأة رفاعة: "لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك" [7].

النَّص الْخَاص كتخصيص قَوْله عَلَيْهِ السَّلَام لَا قطع إِلَّا فِي ربع دِينَار لعُمُوم قَوْله تَعَالَى "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا" [8]

روي أَنَّهُمْ تَنَازَعُوا فِي الْقَطْعِ ، فَدَخَلُوا عَلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُونَهَا ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا قَطْعَ إِلَّا فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»

وقوله تعالى: "**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**"[9]عام يشمل المحصن وغير المحصن وتواتر عنه ﷺ أنه رجم المحصن، وهو فعل.

---

1 ) سورة النساء: الآية 24.

2 ) رواه مسلم كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ج2 ص1029

3 ) سورة النساء: الآية 11

4 ) رواه البخاري، كتاب الفرائض ج8 ص11، ومسلم كتاب الفرائض ج3 ص1233.

5 ) رواه أبو داود في سننه كتاب الديات باب ديات الأعضاء ص692.

6 ) سورة البقرة: الآية 230

7 ) رواه البخاري كتاب الفرائض ج8 ص3، ورواه مسلم ج3 ص1381.

8 )ينظر :المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص249

9 ) سورة النور: الآية 24.

**3- التخصيص بالإجماع:**

ومذهب جمهور العلماء أن الإجماع من مخصصات العموم المنفصلة، وهناك ما يرى أن المخصص هو دليل الإجماع وليس الإجماع نفسه، ومن الأمثلة قوله تعالى: **"إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ"**[1]

وهو عام يشمل الحر والعبد، والذكر والأنثى، وأجمعوا على أنه لا جمعة على عبد ولا امرأة.[2]،وكقوله تعالى: **"يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ"** [3] فهو عام يشمل كل الأولاد الأحرار والأرقاء، وخص الرقيق بالإجماع، لأن الرق مانع من الإرث.

**4- التخصيص بالقياس:**

وذلك في قوله تعالى: **"الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ"**[4] فهو عام يشمل كل زان؛ حرًّا أو عبدًا، وكل زانية حرة أو أمة، لكن الأمة خصصت بآية أخرى هي قوله تعالى: **" وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "**[5] ولم يرد في العبد نص، فقاسه العلماء على الأمة بجامع الرق في كل، فيكون حكمه نصف ما على الأحرار من الرجال.[6]

---

1 ) سورة النور: الآية 24.

2 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ص160.

3 ) سورة النساء: الآية 11.

4 ) سورة النور: الآية 2.

5 ) سورة النساء: الآية 25.

6 ) انظر إرشاد الفحول: الشوكاني ص155، 162، وإتحاف ذوي البصائر: د. النملة، ج6 ص216، 278.

وهناك أيضًا أنواع من المخصصات المنفصلة؛ كالتخصيص بالعقل، وبالحسن، وبالعادة، وقرائن الأحوال، وبالمفهوم، وقول الصحابي، وبالسياق. [1].

## الفصل الثالث: المشترك اللفظي[2]

هناك ألفاظ لها أكثر من معنى، وأكثر من مدلول في وضع اللغة، كأن تكون قبيلة من القبائل العربية قد استعملت اللفظ في معنى غير الذي استعملته قبيلة أخرى، فينزل القرآن الكريم بهذه الألفاظ المشتركة بين تلك المعاني المختلفة، فيقع الإبهام بسبب اشتراكها، كما وقع بسبب إجمالها.

---

1 ) 3 انظر إرشاد الفحول: الشوكاني ص155، 162، وإتحاف ذوي البصائر: د. النملة، ج6 ص216، 278.

2 )دراسات في علوم القرآن ص238

وهناك فرق بين المجمَل والمشترك، وهناك فرق بين المشترك اللفظي والمعنوي، كما إن هناك فرقًا بين العام والمجمَل، والخاص والمقيد.

وهذه الفروق تفهم من تعريف كل واحد منها.

وسنحاول هنا أن نجلو لك معنى المشترك بصوره المختلفة، ونبين لك أسبابه، وحكمه، وغير ذلك من المسائل التي تتعلق به، وذلك بإيجاز.

**أولًا–تعريف المشترك اللفظي في اللغة**

الشّركَة وَالشَّرِكَة سَوَاء،وَقد اشْترك الرّجلَانِ وتشاركا وشارك أَحدهمَا الآخر... والجمع: أشراك، وشركاء، وفريضة مُشْتَرَكَة: يَسْتَوِي فِيهَا المقتسمون،وَطَرِيق مُشْتَرك: يشْتَرك فِيهَا النَّاس، واسم مُشْتَرك: تشترك فِيهِ معَان كَثِيرَة، كَالْعَيْنِ وَنَحْوهَا، فَإِنَّهُ يجمع مَعَاني كَثِيرَة وأشرك بِاللَّه: جعل لَهُ شَرِيكا فِي ملكه.

**<u>تعريف المشترك اللفظي في الاصطلاح:</u>**

**قال الرازي–رحمه الله–**:"اللفظ المشترك هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أولا من حيث هما كذلك."[1] **فالظاهر من خلال هذا التعريف خروج الكثير من الألفاظ التي قد توافق المشترك اللفظي من ناحية تعدد المعانى للفظ الواحد ،وهي:**

**أولا:**اللفظ الموضوع ليدل على المعنى الحقيقي،واستخدم كذلك للدلالة على المعنى المجازي،قال الشوكاني–رحمه الله–:"فَخَرَجَ "**بِالْوَضْعِ**":مَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ بِالْحَقِيقَةِ، وَعَلَى غَيْرِهِ بِالْمَجَازِ."[2]

**ثانيا:**المنقول ،قال الشوكاني –رحمه الله–:"وخرج بقيد "**وضعا أولا**":المنقول." [1]

---

(1)المحصول :الرازي ج1 ص261،ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج :البيضاوي 785هـ الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت عام النشر: 1416هـ - 1995 م ج1 ص248، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي:علاء الدين البخاري ج1 ص37

(2)إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول:الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م ج1 ص57

لأنه لم يوضع وضعًا أولًا إنما نقل من استعماله الأول لاستعماله في معنى آخر،وعرفه العلماء بأنه:"ما كان مشتركًا بين المعاني،وترك استعماله في المعنى الأول،ويسمى به لنقله من المعنى الأول." [2]

وقد يكون الناقل هو الشرع،فيكون منقولًا شرعيًا،وذلك كالصلاة والصوم، فإنهما في اللغة :"للدعاء ومطلق الإمساك، ثم نقلهما الشرع إلى الأركان المخصوصة والإمساك المخصوص مع النية." [3]

وعرف السَّرخسِيّ[4]"المشترك **اللفظي**" بتعريف آخر يراعي أن تحديد أحد معاني المشترك اللفظي يعني نفي إرادة الباقي،فقال:"وَأما الْمُشْتَرك فَكل لفظ يشْتَرك فِيهِ معَان أَو أسام لَا على سَبِيل الانتظام بل على احْتِمَال أَن يكون كل وَاحِد هُوَ المُرَاد بِهِ على الِانْفِرَاد وَإِذا تعين الْوَاحِد مرَادا بِهِ انْتَفَى الآخر مثل اسْم الْعين فَإِنَّهُ للنَّاظِر ولعين المَاء وللشمس وللميزان وللنقد من المَال وللشيء الْمعِين لَا على أَن جَمِيع ذَلِك مُرَاد بِمُطلق

---

(1)إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول:الشوكاني ج1 ص57

(2) التعريفات :الجرجاني ص233،ينظر:الكليات :الكفوي ص866،المحصول:الرازي ج1 ص288

(3)وقد يكون الناقل أيضا هو العرف ،وهو:"إما العرف العام،فهو المنقول العرفي، ويسمى: حقيقة عرفية، كالدابة؛ فإنها في أصل اللغة لكل ما يدب على الأرض ثم نقله العرف العام إلى ذات القوائم الأربع من الخيل والبغال والحمير، أو العرف الخاص،ويسمى: منقولًا اصطلاحيًا، كاصطلاح النحاة والنظار ." ينظر: التعريفات :الجرجاني ص233،ينظر:الكليات :الكفوي ص866،المحصول:الرازي ج1 ص288

(4)محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر، شمس الأئمة:من كبار الأحناف، مجتهد، من أهل سرخس (في خراسان) .أشهر كتبه " المبسوط "وله ،"شرح السير الكبير "وهو شرح لزيادات الزيادات للشيباني، و " الأصول " في أصول الفقه، "شرح مختصر الطحاوي".توفي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة[الأعلام:الزركلى ج5 ص315،ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر محيي الدين الحنفي الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي ج2 ص28] .

اللَّفْظ، وَلَكِن على احْتِمَال كَون كل وَاحِد مرَادًا بِانْفِرَادِهِ عِنْد الْإِطْلَاق وَهَذَا لِأَن الِاسْم يتَنَاوَل كل وَاحِد من هَذِه الْأَشْيَاء بِاعْتِبَار معنى غير الْمَعْنى الآخر وَقد بَينا أَن لفظ الْوَاحِد لَا يَنْتَظِم الْمعَانِي الْمُخْتَلفَة."[1]

ولا شك أن المعين لأحد المعاني على غيرها هو السياق والقرائن اللفظية المصاحبة للكلمة،فإذا لم يتبين المعنى المراد بالسياق ؛ كان ساعتها النظر في الأدلة الخارجة عن النص التي قد تعين في معرفة المراد بالكلمة.

أو بتعبير آخر: المشترك اللفظي: لفظ وُضِعَ لمعنيين أو أكثر بأوضاع متعددة، فهو إذن لم يوضع لمجموع ما يدل عليه بوضع واحد، بل بأوضاع متعددة، أي: وُضِعَ لكل معنًى من معانيه بوضع على حدة، كان يُوضَعُ لهذا المعنى، ثم يوضع مرة ثانية لمعنًى آخر، وهكذا.

فمن المشترك الموضوع لمعنيين فقط "القرء": فقد وُضِعَ للطهر والحيضة.

ومن المشترك الموضوع لأكثر من معنيين، لفظ "العين"، فقد وُضِعَ لعدة معانٍ، منها: العين الباصرة، وعين الماء، والجاسوس، والسلعة.

ووضع هذا اللفظ لهذه المعاني كان وضعًا متعددًا، أي: وضع لكل معنى من هذه المعاني وضع على حدة.وكالمولى وضع للمعتق وللعتيق"[2].

ولفظ "عسعس"في قوله تعالى :"والليل إذا عسعس "مشترك ، يطلق على الإقبال وعلى الإدبار .

ومنها مشترك في الفعل: كلفظ (قضى)، فإنه يأتي في اللغة بمعان متعددة: منها قضى بمعنى صنع كما في قوله تعالى :"فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ" [3] ، وبمعنى أمر كما في قوله تعالى :" **وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً**"[4] وبمعنى أعلم،

---

(1)أصول السرخسي : شمس الأئمة السرخسي دار المعرفة – بيروت ج1 ص126

2 ) "الوجيز في أصول الفقه" د. عبد الكريم زيدان ص326.

3 )سورة طه 72

4 )سورة الإسراء آية 23

كقوله تعالى" **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** "[1]

**<u>أقوال العلماء في جواز وقوع المشترك</u>**

اختلف العلماء في جواز وقوع المشترك اللفظي في اللغة إلى قولين :

**<u>القول الأول:</u> جواز وقوع المشترك :**

ومن أقدم ما ذكر من أقوال تؤيد وقوع المشترك اللفظي في اللغة ما ذكره سيبويه تحت باب:"**هذا باب اللفظ للمعاني**" حيث قال:"اعلم أنّ من كلامِهم اختلاف اللفظينِ لاختلاف المعنيينِ، واختلافَ اللفظينِ والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. "[2]

ثم مثلَ لذلك بما يلى:"واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وجِدان الضّالَّة،وأشباه هذا كثيرٌ."[3]

**وذهب هذا الفريق إلى أن وقوع المشترك اللفظي جائز في اللغة وغير ممتنع عقلا ،لأسباب منها:**

**أولاً: تعدد وضع اللفظ في اللغة لتعدد القبائل.**

---

1 )سورة الإسراء آية :4،ينظر: المجلد السادس من العدد الخامس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية المشترك اللفظي عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء في الفروع الفقهية

(2)الكتاب: سيبويه (المتوفى: 180هـ)ت: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م ج1 ص24،ينظر: المقتضب : محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)ت: محمد عبد الخالق عظيمة.الناشر: عالم الكتب. – بيروت ج1 ص46

(3) الكتاب: سيبويه ج1 ص24 ،ينظر:المقتضب ج1 ص46

قال الرازي–رحمه الله– السبب الأكثري هو أن تضع كل واحدة من القبيلتين تلك اللفظة لمسمى آخر ثم يشتهر الوضعان فيحصل الاشتراك ."[1]،وهذا على أنَّ اللغات غيرُ توقيفية.

**ثانيًا:** الغالب على الألفاظ الاشتراك ،قال السيوطي–رحمه الله–:"لأن الحروفَ بأسْرِها مشتركة بشهادة النُّحَاة." [2]

وقد ألف العلماء في هذا المجال الكثير من المؤلفات[3]،وتعرض لذلك الكثير من العلماء ،وقد عُد من الأدوات اللازم على المفسر اتقانها،وقد عرض النحويون في كتبهم أبوابًا لحروف الجر والعطف تبين ظاهرة المشترك اللفظي ،وأن لكل حرف عدة معان.

وتتضح ظاهرة الاشتراك أيضا في الأفعال والأسماء،قال السيوطي–رحمه الله– :"الأفعال الماضية مشتركةٌ بين الخبَر والدُّعاء والمضارعَ كذلك،وهو أيضا مشْتَرَكٌ بين الحال والاستقبال والأسماء كثير فيها الاشتراك ،فإذا ضَمَمْناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراكُ أغلبَ.[4]

**3–وقد يقع الاشتراك مِنْ واضعٍ واحدٍ لغرض الإبهام على السامع حيثُ يكونُ التصريح سببا للمَفْسدة.**

---

(1)المحصول :الرازي ج1 ص268 ،ينظر:الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي ج1 ص19

(2)المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي ج1 ص293

(3)مثل"الجني الدّاني في حروف المعاني لابن أم قاسم"،ومثل:"رصف المباني في حروف المعاني للمالقيّ"

(4)المزهر: السيوطي ج1 ص293

ووقوع الاشتراك لهذا السبب قليل،قال الرازي–رحمه الله–:"والأقلي أي هو أن يضعه واضع واحد لمعنيين ليكون المتكلم متمكنا من التكلم بالمجمل ،وقد سبق في الفصل السالف أن التكلم بالكلام المجمل من مقاصد العقلاء ومصالحهم."[1]

قال السيوطي–رحمه الله– :"وكما رُوي عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه – وقد سأله رجلٌ عن النبي ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار:من هذا قال: هذا رجلٌ يَهْديني السبيلَ."[2]

فالمشترك اللفظي يناسب ما اعتاده العرب من أساليب تعتمد في الأساس على أصول البلاغة والفصاحة لديهم ،فيفهمه المخاطب ولا يؤدي إلى التباس المعنى لديه ،قال ابن عاشور –رحمه الله–:"إن العرب أمة جُبِلَتْ على ذكاء الْقَرَائِحِ وَفِطْنَةِ الْأَفْهَامِ، فعلى دِعَامَةِ فِطْنَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ أقيمت أساليب كلامهم،وبخاصة كلام بُلَغَائِهِمْ، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين عَلَى أفهام السامعين كما يقال:لَمْحَةٌ دَالَّةٌ،لأجل ذلك كثير في كلامهم المجاز، والاستعارة، والتمثيل، وَالْكِنَايَةُ، وَالتَّعْرِيضُ، وَالِاشْتِرَاكُ وَالتَّسَامُحُ فِي الِاسْتِعْمَالِ كَالْمُبَالَغَةِ."[3]

**4–كما أن وقوع المشترك اللفظي غير ممتنع عقلا؛ لكون** الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية،والمتناهي إذا وزع على غير المتناهي لزم الاشتراك. [4]

أي أن المعاني كثيرة لدرجة أنها إذا قسمت على الألفاظ استوعبتها وبقى الكثير من المعاني لم تستوعبه الألفاظ، وهذا الأمر يؤيد حكمة الاشتراك اللفظي.

---

(1)المحصول :الرازي ج1 ص268،ينظر: المزهر :السيوطي ج1 ص292

(2)المزهر :السيوطي ج1 ص292،ينظر:كشف الأسرار شرح أصول البزدوي:علاء الدين البخاري الحنفي ص42

(3)التحرير والتنوير ج1 ص95

(4)ينظر:المحصول:الرازي ج1 ص262،الإحكام في أصول الأحكام : الآمدي ج1 ص19

**القول الثاني:امتناع وقوع المشترك اللفظي في اللغة**

أنكر البعض وقوع "المشترك اللفظي"في اللغة،ومن أقدمهم ابن درستويه[1]وأنكره أيضا ثعلب[2] وأبو زيد البلخي[3] والأبهري.[1]

---

(1)هو عبد الله بن جعفر، المعروف بابن درستويه من علماء اللغة، فارسي الأصل. قرأ على المبرد " كتاب سيبويه "،وأقام ببغداد إلى حين وفاته،وألف كتبا، منها كتاب الإرشاد، وشرح كتاب الجرمي، وكتابه في الهجاء، وهو من أحسنها. توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة هـ "[ينظر:تاريخ العلماء النحويين :التنوخي ص64،نزهة الألباب في طبقات الأدباء:كمال الدين الأنباري ص213]

(2)أَحْمَد بْن يَحْيَى بْن زيد بْن سيار أَبُو الْعَبَّاس النحوي الشيباني المعروف بثعلب إمام الكوفِيين فِي النحو وَاللغة سمع إِبْرَاهِيم بْن المنذر الحزامي، ومحمد بْن سلام الجمحي، ومحمد بْن زياد ابْن الأعرابي، وعلي بْن المغيرة الأثرم، وسلمة بْن عاصم، وعبيد الله بْن عُمَر القواريري، وَالزبير بْن بكار.روى عنه: مُحَمَّد بْن الْعَبَّاس اليزيدي، وعلي بْن سُلَيْمَان الأخفش، وإبراهيم بْن مُحَمَّد بْن عرفة الأزدي، وأبو بكر ابْن الأنباري وكَانَ ثقة حجة، دينا صَالِحا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، وَالمعرفة بالغريب، ورواية الشعر القديم، مقدما عند الشيوخ مذ هو حدث ،سمع الْعَبَّاس مُحَمَّد بْن يزيد المبرد يقول: أعلم الكوفِيين ثعلب، فذكر له الفراء، فَقَالَ لا يَعْشُرُهُ. مات أَبُو الْعَبَّاس أَحْمَد بْن يَحْيَى النحوي المعروف بثعلب يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين، وكَانَ مولده سنة مائتين.[ينظر: تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2002 م ج6 ص448]

(3)أحمد بن سهل أبو زيد البلخي صاحب التصانيف المشهورة: كان فاضلا في علوم كثيرة وكان يسلك طريق الفلاسفة ،ويقال له جاحظ زمانه، وكان يرمى بالإلحاد يحكي عن أبي القاسم البلخي أنه قال هذا رجل مظلوم وإنما هو موحد يعني معتزليا ،قال وأنا أعرف به من غيري وقد نشأنا معا وقرأنا المنطق ،ولأبي زيد من الكتب فضائل مكة والقرابين والذبائح وعصمة الأنبياء ونظم القرآن وغريب القرآن ،ومات أبو زيد سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة عن بضع وثمانين سنة.[

نقل السيوطي–رحمه الله –عن ابن درستويه في شرح الفصيح ،وقد ذكر لفظه (وَجَد) واختلاف معانيها،فقال:" هذه اللفظة من أقْوى حُجَج من يزعمُ أن من كلام العرب ما يتَّفِقُ لفظه ويختلف معناه؛لأن سيبويه ذكره في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة فظنَّ من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظٌ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة ،وإنما هذه المعاني كلُّها شيءٌ واحد وهو إصابةُ الشيء خيرا كان أو شرا ."[2]

**ودليلهم على ذلك هو أن** : وقوعه يقتضي المفسدة ؛لأن المقصود من الألفاظ ووضعها إنما هو التفاهم حالة التخاطب،والمشترك لو وقع وسمعه السامع لم يحصل له الفهم ؛لأن المشترك متساوي الدلالة بالنسبة إلى معانيه. [3]

وهنا يمكن القول أن القرائن اللفظية والسياق تساعد وبشكل كبير في تعيين المراد باللفظ المشترك في جملته،كما أن غموض مراد المتكلم قد يتأتى لأسباب أخرى غير الاشتراك اللفظي،ومن أهمها "**الإجمال**" وقد وقع الإجمال على الصحابة في القرآن

---

ينظر:لسان الميزان ج1 ص183، الأعلام :الزركلى ج1 ص134] معجم الأدباء 65/3 – 86 الأعلام 131/1.]

(1)هو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر التميمي الأبهري شيخ المالكية في العراق له مؤلفات في مذهب الإمام مالك والرد على مخالفيه. قال الدارقطني: هو إمام المالكية، إليه الرحلة من أقطار الدنيا. توفي في شوال سنة خمس وسبعين. وقيل: في ذي القعدة، وعاش بضعا وثمانين سنة –رضي الله عنه–.[ينظر: طبقات الفقهاء:أحمد بن محمد بن زيد القزويني ج1 ص167 سير أعلام النبلاء:الذهبي طبعة :الحديث ج12 ص339]

(2)ينظر:المزهر ج1ص303

(3)ينظر: الكتاب: الإبهاج في شرح المنهاج: تقي الدين السبكي وولده تاج الدين الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت عام النشر: 1416هـ – 1995 م ج1 ص251، الإحكام في أصول الأحكام ج1 ص22

الكريم –وهذا على الرغم من علمهم ونبوغهم في لغة القرآن–وطلبوا من رسول الله ﷺ تبيينها،ومن أشهرها في تبيين مجمل القرآن ما روي عن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ،وقالوا:أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله ﷺ:إنه ليس بذاك،ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[لقمان: 13] "[1]

ومنه:تفسير الرسول ﷺ للقوة الواردة في قوله سبحانه ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾[الأنفال:60 ]،فقد روى مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ » **ألا وإن القوة الرمي، ألا وإن القوة الرمي،ألا وإن القوة الرمي»**[2]

**<u>علاقة المشترك اللفظي بالمجمل:</u>**

دائما ما يورد علماء الأصول مبحث"**المشترك اللفظي**"مقترنًا بمبحث"**المجمل**" في نفس الباب ؛لذلك كان من الضرورة بيان العلاقة بينهما في هذا البحث.

**تعريف المجمل :**

---

(1)أخرجه البخاري في صحيحه برقم(3360) كتاب:"أحاديث الأنبياء"،باب:" باب:قوله تعالى "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا"[النساء: 125] "ج1 ص141،والترمذي في سننه برقم(3067)كتاب:"أبواب تفسير القرآن"،باب:"ومن سورة الأنعام"وقال :" هذا حديث حسن صحيح. "ج5 ص112

(2)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم(1917)كتاب:"الإمارة"،باب:"فضل الرامي والحث عليه وذم من عمله ثم نسيه"ج3 ص1522

عرفنا فيما سبق المشترك اللفظي ،وذكرنا أنه: اللفظ الموضوع وضعًا أولا للدلالة على معنيين.

أما المجمل فعُرف بأنه:" مَا احْتمل وُجُوهًا ؛فَصَارَ بِحَال لَا يُوقف على المُرَاد بِهِ إِلَّا بِبَيَان من قبل الْمُتَكَلّم."[1]

وقيل المجمل :"ما ازدحمت فيه المعاني أي تدافعت يعني يدفع كل واحد سواه لا أنه شمل معاني كثيرة."[2]

وقيل بأنه :"اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، ولا يوجد قرائن لفظية أو حالية تبينه، فسبب الخفاء فيه لفظي لا عارض."[3]

**وقد فرق بينهما العلماء بعدة فروق منها:**

**أولا:** أن الإجمال بالنسبة إلى الفهم، والاشتراك بالنسبة إلى وضع اللفظ واستعماله، فاللفظ قد يكون مشتركا ؛ولكنه يستعمل في أحد معانيه فلا يكون مجملا، وقد يغمض المراد منه فيكون مجملا.

وقد ذكر الزركشي فيما نقل عن أبي العز الْمُقْتَرَحِ [1] قوله:"الفرق بين المجمل والمشترك أن المجمل يستدعي ثبوت احتمالين متساويين بالنسبة إلى الفهم، سواء وضع

---

(1)أصول الشاشي :نظام الدين بن إسحاق الشاشي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ص81،ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ج3 ص154

(2)كشف الأسرار شحر أصول البزدوي ج1 ص54

(3)علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف (المتوفى : 1375هـ)الناشر : مكتبة الدعوة الطبعة : عن الطبعة الثامنة لدار القلم ص174

اللفظ لهما على وجه الحقيقة أو في أحدهما مجاز وفي الآخر حقيقة. فالإجمال إنما هو بالنسبة إلى الفهم، فإن المشترك قد يتساوى بالنسبة إلى الوضع، ولا يتساوى بالنسبة إلى الفهم، فلا يكون مجملا." [2]

**ثانيا:** توارد المعاني في المجمل أعم منه في المشترك ،وهذا لأن المجمل أنواع ثلاثة ؛أما الأول فالمجمل الذي لا يفهم معناه لغة لِغَرَابَته "**كَالْهَلُوعِ**" قبل التفسير ،ونوع معناه مفهوم لغة ولكنه ليس بمراد لِانْتِقَالِهِ مِنْ مَعْنَاهُ الظاهر إلى ما هو غير معلوم كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالرِّبَا،ونوع معناه معلوم لغة إلا أنه متعدد والمراد واحد منها وهو المشترك، قال البزدوي :"ازدحام المعاني في المشترك باعتبار الوضع فقط؛ أما في المجمل فقد يكون باعتبار الوضع وقد يكون باعتبار غرابة اللفظ وتوحشه من غير اشتراك فيه وباعتبار إبهام المتكلم الكلام ." [3]

---

(1)مُظَفَّر بْن عَبْد اللَّه بْن عَليّ بْن الحُسَيْن.الإمَام الفقيه تقيّ الدّين المَصْرِيّ، الشَّافِعِيّ، المعروف بالمُقْتَرَح ،وُلِدَ في حدود السّتّين وخمسمائة،وتَفَقَّه، وبرع في أصولِ الدّين والخلاف والفقه، وصنَّف التّصانيف منها (شرح المقترح في المصطلح) وتخرَّجَ بِهِ جماعةٌ كثيرةٌ، وَكَانَ كثير الإفادة مُنتصبًا لمن يقرأ عَلَيْهِ، كثير التّواضع، حسن الْأَخلاق، جميلَ العِشْرة، ديّنا مُتورعًا. ولِيَ التّدريس بالمدرسة المعروفة بالسّلفيّ بالإسكندريّة مُدَّة، وتوجّه إلى مَكَّة فأُشيعت وفاته وأُخذت المدرسة فعادَ ولم يتّفق عوده إليها، فأقام بجامع مصر يُقرئ، واجتمع عَلَيْهِ جماعة كثيرة، ودرس بمدرسة الشريف ابن ثَعْلَب، وَتُوُفِّي في شعبان. [ينظر:تاريخ الإسلام ج44 ص128 ،الاعلام للزركلي ج7 ص256]

(2)البحر المحيط في أصول الفقه: الزركشي ،الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م

ج5 ص63 ،ينظر:علم أصول الفقه :عبد الوهاب خلاف ج174

(3)كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ج1 ص54،ينظر: شرح التلويح على التوضيح: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: 793هـ)ج1 ص243

**ثالثا**: إن الإجمال في الأدلة الشرعية قد بُين،ولم يبق لفظ مجمل لا بيان له على الأرجح من قولي العلماء؛أما الاشتراك فلا أحد يدعي انتهاءه من اللغة العربية، ولهذا فإن الكلام في الاشتراك بحث لغوي صرف لا ينبغي أن يحشر في أصول الفقه، وأما الكلام في الإجمال فهو أصل يجب أن لا يخلو منه كتاب في أصول الفقه. [1]

ويمكن القول أن"**المشترك اللفظي**" أحد الأسباب التي تؤدي إلى الإجمال إذا انسد باب الترجيح ،وهو ما ذكره البزدوي ،فقال:"إن اللفظ المشترك بين معنيين قد يصير مجملاً إذا انسد فيه باب الترجيح ."[2]

أي أنه إذا دلت القرائن اللفظية والسياق على المعنى المراد من المشترك ،فلا يكون مجملا،أما إذا احتاج هذا اللفظ لدليل من الخارج يزيل هذا الإجمال ،فإذا انسد فيه باب الترجيح لغةً يكون ساعتها هذا اللفظ مجملاً.

ويمكن التمثيل لهذا بلفظ "**القرء**"المشترك بين الحيض والطهر،فقد ورد في قوله تعالى﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾[البقرة: ٢٢٨ ]،واللفظ يحتمل كلا المعنيين ،وقد ورد في السنة النبوية بمعنى"الحيض" في قول الرسول ﷺ "**اتركي الصلاة أيام إقرائك**"[3] ،قد استدل الحنفية بهذا الحديث على أن المراد في الآية هو"**الحيض**" ولا يخفي هذا الخطأ في كتب الفقه والأصول؛لأن السياق والقرائن اللفظية في الحديث قد بينت أن المراد فيه هو"الحيض" ولا شك في ذلك، أما بالنسبة إلى الآية فلا ،فأصبح مجملاً لانسداد باب الترجيح

---

(1) أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ: عياض بن نامي بن عوض السلمي ص399

(2)كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ج1 ص54

(3)أخرجه الدار قطني في سننه برقم(822)كتاب :"الحيض"ج1 ص394،أبو داود في سننه برقم(280)كتاب :"الطهارة"،باب:"في المرأة تستحاض"،وقال الألباني :"صحيح"ج1 ص72

فيه،ولا يمكن أن نحمل الآية على الحديث، لأن المتكلم متعدد وفي وقتين، فجاز أن المتكلم الأول أراد الطهر والثاني أراد الحيض ،فلا دلالة في الحديث على ذلك.

## أقسام المشترك اللفظي في القرآن الكريم

باستقراء الكلمات التي عرضها المفسرون كمواضع للمشترك اللفظي في القرآن الكريم اتضح أنه قد يقع على قسمين،ومما يؤيد هذا التقسيم ما ذكره البزدوي في قوله:"قسم يمكن ترجيح بعض وجوهِه بالتأمل في معناه لغة من غير بيان آخر ،وقسم لا يمكن الترجيح فيه إلا بالبيان، فهذا القسم الأخير من أقسام المجمل دون الأول."[1]

**والقسم الأول** :وهو ما يبينه السياق والقرائن اللفظية التي تحف باللفظ قد وقع كثيرًا في القرآن الكريم ،ومنه كلمة "**الشهادة**" فقد وردت في القرآن الكريم بعدة معاني ،**منها:**

أ-"**قضى وأعلم**":وذلك في قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ [سورة آل عمران الآية :18]

ب- "**أقر**":وذلك في قوله تعالى:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء :166]

ج-"**الحضور للوصية**":وذلك في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [المائدة:106]

د-"**حكم**":وذلك في قوله تعالى﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [يوسف :26]

هـ-"**حلف**":وذلك في قوله تعالى ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ﴾ [النور :6]

**ومنه أيضا كلمة (الأمة)** ،وقد وردت في القرآن في مواضع عدة ،دل السياق في كل موضع على المعنى المراد منها ،**ومن هذه المعانى :**

---

(1)كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: علاء الدين البخاري الحنفي ج1 ص42

أ-"**الأمد والحين**":وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ [هود:8]

ب-"**الإمام الذي يقتدى به**":وذلك في قوله تعالى﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:120]

ج-"**الجماعة من الناس**"وذلك في قوله تعالى﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص:23]

د-"**الدين والملة**"وذلك في قوله تعالى﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:22]

فلفظ "**شهد**" وكذلك لفظ " **أمة** "من المشترك اللفظي،ولكن القرائن اللفظية دللت على المعنى المراد منه في موضعه ،فانتفت بقية المعاني،ولذلك لم يعد من المجمل.

**القسم الثاني:**

اللفظ المشترك الذي اختلف العلماء في المعنى المراد منه،ولم يظهر ذلك من خلال السياق والقرائن اللفظية،**وهو موضوع الدراسة،والجدير بالذكر أن هذا النوع يقع على حالتين:**

**أما الأولى:**فإنه عند تعيين أحد المعاني ،فهذا يستوجب استحالة غيره.

**وأما الثانية:**فإنه قد يستوعب اللفظ كلا المعنيين،ولا يمتنع إذ لم يخل هذا بالمعنى؛بل يثرى المعنى ويقويه.

ومن أمثلة الحالة الأولى ؛لفظ "**النكاح**" وهو من أشهر الألفاظ التي اختلف العلماء حولها ،وقيل أنه:"مشترك بين الوطء والعقد اشتراكًا لفظيا."[1]

وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ ..... ﴾ [البقرة :230]

ولا تحتمل الآية إلا أحد الوجهين دون الآخر،ويرى جمهور العلماء أن المراد في الآية الكريمة "**حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا**"أي لا تحل له بعد الطلقة الثالثة حتى تتزوج زوجًا غيره ويطأها.[2]

وهو المعنى الذي فسرته السنة المطهرة ؛لما ورد في الصحيحين عن عُرْوَةَ،عن عائشة –رضي الله عنها–: **جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفاعَةَ القُرَظِيِّ النبي ﷺ،فقالت:" كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَأَبَتَّ طَلاَقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»**[3]

---

(1)فقد نقل عن عدد كبير من المفسرين أنه:"مشترك بين الوطء والعقد اشتراكًا لفظيا،وقيل:حقيقة في العقد مجاز في الوطء،وقيل: بقلبه وقيل هو مشترك بينهما اشتراكا معنويا،وهو من أفراد المشكك وحقيقته الضم والجمع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :الشنقيطي ج1 ص230،ينظر:روح المعاني :الألوسي ج11 ص225

(2)شرح تنقيح الفصول :القرافي (المتوفى: 684هـ)ت: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م ص123

(3)أخرجه البخاري في صحيحه برقم(2639)كتاب:"الشهادات"،باب:"شهادة المختبي"ج3 ص168،مسلم في صحيحه برقم(1433)كتاب:"النكاح"،باب:"لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره"ج2 ص1055

فالحديث نص في إرادة الوطء كي لا يظن أنه يكفي مجرد العقد؛ ودلت السنة إيضا على تحريم نكاح المحلل،فقد لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له. [1]

بل وقد سماه النبي ﷺ بالتيس المستعار،عن عقبة بن عامر عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: قال رسول الله ﷺ**"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال:"هُوَ الْمُحَلِّلُ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ.**"[2]

**ومن أمثلة الحالة الثانية** ؛قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤ ]

ففي اللغة:" الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بَيْعُ الشَّيْءِ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ الشِّرَى بَيْعًا، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. قال رسول ﷺ:**«لاَ يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ »**[3] قَالُوا: مَعْنَاهُ لَا يَشْتَرِ عَلَى شِرَى أَخِيهِ،وَيُقَالُ بِعْتُ الشَّيْءَ بَيْعًا،فَإِنْ عَرَضْتَهُ لِلْبَيْعِ قُلْتَ أَبَعْتُهُ."[4]

مما أجاز إطلاق اللفظ على المعنيين معًا ولا يضر هذا بالمعنى بل يثريه،قال الألوسي–رحمه الله–في تفسير الآية السابقة:" وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة نفي العقد إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه ربما

---

(1)أخرجه ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة–رضي الله عنه– برقم(1934)كتاب:"النكاح"،باب:"المحلل والمحلل له"،وقال الألباني :"صحيح"ج1 ص622،البيهقي في السنن الكبرى كتاب :"جماع أبواب المحلل والمحلل له":باب:"المحلل والمحلل له"ج7 ص339

(2)أخرجه ابن ماجة في سننه برقم(1936)كتاب:"النكاح"،باب:"المحلل والمحلل له"وقال الألباني "حسن "ج1 ص623،الدار قطني برقم(3618)كتاب:"النكاح"،باب:"المهر"ج4 ص369،وصححه الحاكم في المستدرك ج2 ص217

(3)أخرجه البخاري في صحيحه برقم (2139)كتاب:"البيوع"،باب:"لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك"ج3 ص69،مسلم برقم(1412)كتاب:"تحريم البيوع"،باب :"تحريم بيع الرجل على بيع أخيه"ج3 ص1154

(4)معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ج1 ص327

يتصور مع تحقق الإيجاب من البائع انتهى،وقيل:إن البيع كما يستعمل في إعطاء المثمن وأخذ الثمن وهو المعنى الشائع يستعمل في إعطاء الثمن وأخذ المثمن وهو معنى الشراء، وعلى هذا جاء قوله ﷺ « **لاَ يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ** » ولا مانع من إرادة المعنيين هنا."[1]

**حكمه:**

إذا ورد في الكتاب أو السُّنَّة لفظ مشترك ينظر فيه، فإن كان مشتركًا بين معنيين أحدهما لغوي، والآخر شرعي، وجب حمله على المعنى الشرعي؛ لأنه المقصود بالحكم.

وإن كان مشتركًا بين معنيين أو أكثر لغة، وجب حمله على معنى واحد منها، بدليل يدل على هذا الحمل.

ففي قوله تعالى –مثلًا: "**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ**" .

يُحْمَلُ على معناه الشرعي، وهو حمل العصمة الزوجية، ولا يُحْمَلُ على معناه اللغوي الذي هو حل القيد مطلقًا.

وقوله تعالى: "**أَقِيمُوا الصَّلَاة**"يُحْمَلُ على الصلاة بمعناها الشرعي، وهي العبادة ذات الأقوال والأفعال المخصوصة المفتتحة بالتكبير، المختَتَمَة بالتسليم، ولا يُحْمَلُ على معناها اللغوي، وهو الدعاء.

والسبب في حمل المشترك على معناه الاصطلاحي لا اللغوي، هو أنَّ الشارع لما نقل هذا اللفظ عن معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي الشرعي الذي استعمله فيه، كان اللفظ في عُرْفِ الشارع متعيّن الدلالة على ما وضعه الشارع له، فيجب المصير إليه.

**وقوله تعالى: "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ" [2]**

نجد لفظ "القرء" محتملًا لمعنيين لغوين، فلا بُدَّ إذًا من أن يكون أحد المعنيين مرادًا على التعيين: إما الحيض، وإما الطُّهْر،وعلى المجتهد أن يبذل جهده لمعرفة المراد منه.

---

(1)روح المعاني ج7 ص209

2 )سورة البقرة آية 228

ولهذا اختلف الفقهاء في المراد منه على مذهبين، وجاء كل فريق بأدَّلة متساوية، كما يقول ابن رشد في "بداية المجتهد" عند كلامه على هذه المسألة، وكل فريق أخذ بما ترجَّح عنده بالأدلة التي رآها أقوى من غيرها.

ومن ذلك أيضًا لفظ "الكلالة" الذي ورد في قوله تعالى:"**وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ**" [1].

**فإن لهذا اللفظ معانٍ، أشهرها معنيان:**

**الأول:** القرابة التي ليس فيها للميت والد ولا ولد.

**الثاني:** وهو قول ابن الأعرابي: إنها بنو العم الأباعد.والأول هو قول الجمهور[2].

فعلى المجتهد أن يتبيّن المعنى المراد من كلمة "كلالة" بالرجوع إلى القرائن ونصوص المواريث.

قال الجصاص :"وَقَدْ يَكُونُ لَفْظٌ وَاحِدٌ يَتَنَاوَلُ ضِدَّيْنِ عَلَى جِهَةِ الْحَقِيقَةِ فِيهِمَا جَمِيعًا وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَتَنَاوَلَهُمَا وَيَكُونُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ. وَقَدْ ذَكَرَ قُطْرُبٌ النَّحْوِيُّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ هَذَا نَحْوُ الْجَوْنِ أَنَّهُ اسْمٌ (لِلْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ) وَالْمَسْجُورُ اسْمٌ لِلْفَارِغِ وَالْمَلْآنِ وَنَحْوُ ذَلِكَ. (وَ) مِمَّا يَكُونُ مَجَازًا فِي أَحَدِهِمَا حَقِيقَةً فِي .... وَقَدْ أَبَى بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ فِي اللُّغَةِ اسْمٌ وَاحِدٌ لِمَعْنَيَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ وَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ بِأَشْيَاءَ يَجْرِي مَجْرَى الْهَذَيَانِ لِأَنَّ ذَلِكَ أَشْهَرُ فِي اللُّغَةِ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ أَحَدًا دَفْعُهُ.

وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ (الْكَرْخِيُّ) يَقُولُ فِي اللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لِمَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ لَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَا جَمِيعًا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي أَضْعَافِ مَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَبَيَّنَّا قَوْلَ أَصْحَابِنَا فِيهِ فَمَتَى وَرَدَ لَفْظٌ يَتَنَاوَلُ مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. فَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً فِيهِمَا احْتَجْنَا إلَى دَلَالَةٍ مِنْ غَيْرِهِ فِي إثْبَاتِ الْمُرَادِ لِأَنَّ الْمُرَادَ أَحَدُهُمَا وَلَيْسَ وَاحِدًا مِنْهُمَا بِعَيْنِهِ بِأَوْلَى (بِهِ) مِنْ الْآخَرِ وَغَيْرُ

---

1 )سورة النساء آية 12

2 ) راجع "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ج5 ص76 وما بعدها.

جَائِزٍ أَنْ يُرِيدَ الْمَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ كَانَ اللَّفْظُ مَحْمُولًا عَلَى الْحَقِيقَةِ حَتَّى تَقُومَ دَلَالَةُ الْمَجَازِ."[1]

## الفصل الرابع المطلق والمقيد

### مدخل

جاءت بعض الأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية مطلقة غير مقيدة بشرط أو وصف أو غير ذلك. وجاء بعضها مقيدًا بوصف أو شرط أو غيرهما.

والأصل في المطلق أن يبقى على إطلاقه، إلا إذا صح الدليل على تقييده؛ لأن الإطلاق لحكمة كما أن التقييد لحكمة، وفي كل منها رعاية لمصلحة العباد في الدنيا والآخرة.

والدليل على تقييد المطلق أحيانًا يكون بالنص، وهذا ظاهر لا خلاف فيه، وأحيانًا لا يصرح بالقيد، وإنما تدل عليه الأحوال والقرائن من نصوص أخرى جاءت مقيدة، ومن العلماء من يحمل المطلق منها على المقيد ومنهم من لا يحمله، وعلى هذا قول الشافعي رحمه الله تعالى: "**اللفظ بيّن في مقصوده ويحتمل في غير مقصوده**"[2]

وهو ما يدرسه العلماء في باب المطلق والمقيد في كتب الأصول وعلوم القرآن والحديث.

### تعريف المطلق:

المطلق في اللغة هو المنفك من كل قيد حسيًّا كان أو معنويًّا، تقول: أطلقت الدابة إذا فككت قيدها وسرحتها، وهذا إطلاق حسي، ويقال: طلق الرجل زوجته إذا فك قيدها من الارتباط به وهذا إطلاق معنوي.

### المطلق في الاصطلاح:

**ذكر العلماء تعريفات كثيرة منها:**

**المطلق:** هو ما دل على الماهية بلا قيد من حيث هي هي[3].

---

1 )الفصول في الأصول : أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ) الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1994م ج1 ص370

2 ) البرهان: الزركشي ج2 ص18.

3 ) البحر المحيط: الزركشي ج5 ص5؛ وانظر إرشاد الفحول: للشوكاني ص164.

وقال ابن قدامة هو: المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه[1].

وقال ابن فارس: أما الإطلاق: فأن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة، ولا شرط، ولا شيء يشبه ذلك"[2].

وعند الآمدي: المطلق هو "النكرة في سياق الإثبات"[3]

قال القرافي: "كل شيء يقول الأصوليون: إنه مطلق، يقول النحاة: إنه نكرة. وكل شيء يقول النحاة: إنه نكرة، يقول الأصوليون: إنه مطلق.. فكل نكرة في سياق الإثبات مطلق عند الأصوليين، فما أعلم موضعًا ولا لفظًا من ألفاظ النكرات يختلف فيها النحاة والأصوليون، بل أسماء الأجناس كلها في سياق الثبوت هي نكرات عند النحاة، ومطلقات عند الأصوليين"[4].

ومن المعلوم أن النكرة عند النحاة هي: كل اسم شائع في جنسه، لا يختص به واحد دون آخر، مثل رجل، كتاب، فرس[5].

ولهذا قال الآمدي بعد ذلك: وإن شئت قلت: هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه.[6]

وعرف ابن الحاجب وغيره من الأصوليين المطلق بأنه: "ما دل على شائع في جنسه"[7].

وبهذا يتبين أنه لا فرق بين المطلق والنكرة غير المستغرقة في سياق الإثبات ،بل هما بمعنى واحد في عرف النحاة والأصوليين.[8]

---

1 ) روضة الناظر: ابن قدامة: ص136

2 ) الصاحبي: ابن فارس ص164.

3 ) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي ج3 ص3.

4 ) العقد المنظوم: القرافي تحقيق، محمد علوي بنصر ج1 ص304.

5 ) المرجع السابق: القرافي تحقيق د. أم الختم ج1 ص189 "الهامش".

6 ) الإحكام: الآمدي ج3 ص3.

7 ) بيان المختصر "شرح مختصر ابن الحاجب": لأبي الثناء الأصفهاني ج2 ص349.

8 ) العقد المنظوم: القرافي ج1 ص189 "الهامش".

ومثال المطلق الرقبة في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا" [1].

**المقيد لغة:**

هو ما بقابل المطلق في اللغة فالقيد هو الربط حسيًّا كان أو معنويًّا تقول قيدت الدابة إذا ربطتها بحبل ونحوه، وهذا قيد حسي، وفي الحديث: "الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن" [2]

قال ابن منظور: "معناه أن الإيمان يمنع عن الفتك بالمؤمن"[3] ومنه قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "قيدوا العلم بالكتاب"[4] "قلت" وهذا وذاك قيد معنوي.

**والمقيد اصطلاحًا:**

ذكر العلماء له تعريفات كثيرة وهو ما يقابل المطلق على اختلاف التعريفات:فقيل: هو ما دل على الماهية بقيد[5].

وقيل: هو المتناول لمعين، أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه.[6]

ومثال المقيد الرقبة في قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**" [7] فاشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة وهذا قيد لها، ولو لم يشترط لكانت الرقبة مطلقة.

---

1 ) سورة المجادلة: الآية 3.

2 ) مسند الإمام أحمد ج1 ص166؛ وسنن أبي داود ج3 ص87، مجمع الزوائد: ج1 ص96؛ والمستدرك ج3 ص352، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيح ج1 ص541 حديث 2802.

3 ) لسان العرب: ابن منظور ج3 ص372.

4 ) سنن الدارمي ج1 ص138.

5 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ص164.

6 ) روضة الناظر: ابن قدامة ص136.

7 ) سورة النساء: الآية 92.

**الفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد:**

قال القرافي: "وإنما وضع الأصوليون حمل المطلق على المقيد في كتاب الخصوص والعموم بسبب أن المطلق هو "قسيم" العام ،والتقييد "قسيم" الخاص. وهذه الأقسام تلتبس جدًّا على كثير من الفضلاء وربما اعتقدوا المطلق عامًّا.. والتبس التقييد بالتخصيص.."[1]

وقال في موضع آخر: إن "مدلول المطلق فائت ومتعذر ولم أر أحدًا تعرض لذلك ،بل يسوون في الأصول والفروع بين هذه المثل ويجعلون البحث واحدًا، وليس كذلك"[2]

وقال عن العموم: "اعلم أن مسمى العموم في غاية الغموض والخفاء، ولقد طالبت بتحقيقه جماعة من الفضلاء فعجزوا عن ذلك"[3].

ومع هذا فقد عقد في كتابه: "العقد المنظوم في الخصوص والعموم" بابًا خاصًّا في الفرق بين العام والمطلق إضافة إلى ذكره الفروق بينهما في تعريفه للعام، ومن أظهر الفروق:

أن المطلق يقتصر بحكمه على فرد من أفراده دون الجميع كإعتاق الرقبة فإنه إذا أعتق رقبة لا يلزمه إعتاق الباقي، أما العموم فإن حكمه يعم جميع أفراده بالتساوي، فإذا قتلنا مشركًا ثم وجدنا آخر وجب قتله أيضًا.

بمعنى أن الحكم في العام يثبت لكل أفراده، أما المطلق فيثبت لأحد أفراده بلا تخصيص، فإذا قام في أحدها انقطع عن الباقي.

"فإن قلت" هذا هو التخصيص.

"قلت": لا، فإن التخصيص قبله عموم، ثم خرج بعض أفراده، وأما المطلق فالمراد به بعض أفراد العام من أول الأمر.

فإذا قال رجل: كل زوجة لي فهي طالق فهذا اللفظ عام يوجب طلاق زوجاته جميعًا.

وإذا قال: كل زوجة لي فهي طالق إلا فلانة فهذا تخصيص يوجب استثناءها من الطلاق بعد أن كان الحكم يشملها.

---

1 ) العقد المنظوم: القرافي ج2 ص470.

2 ) المرجع السابق ج2 ص488، العقد المنظوم ج2 ص488.

3 ) المرجع السابق ج1 ص275.

وإذا قال: إحدى زوجاتي طالق فهذا لفظ مطلق يوجب طلاق إحدى زوجاته دون البقية فإذا طلقت واحدة سلمت الأخريات.

وإذا قال: زوجتي الوسطى أو الكبيرة أو الصغيرة طالق فهذا تقييد يوجب طلاقها بعينها من أول الأمر ومن غير أن يشمل غيرها. والله أعلم.

**حمل المطلق على المقيد**

حمل المطلق على المقيد:

إذا ورد الخطاب مطلقًا لا مقيد له، وجب حمله على إطلاقه. وإذا ورد الخطاب مقيدًا لا مطلق له وجب حمله على تقييده[1].

**وإذا ورد الخطاب مطلقًا في موضع ومقيدًا في آخر فله أربع صور:**

**الصورة الأولى: أن يتحد السبب والحكم:**

فقد ورد تحريم "الدم" مطلقًا في قوله تعالى: "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**" [2]

وورد تحريمه مقيدًا بكونه مسفوحًا في قوله تعالى: "**قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ.**"[3]

والحكم في الآيتين واحد وهو "التحريم"، والسبب واحد، فاتحد الحكم والسبب، فيحتمل المطلق على المقيد باتفاق لأن العمل بالمقيد عمل بالآيتين والعمل بالمطلق عمل بإحدى الآيتين دون الأخرى، والعمل بهما أولى من العمل بإحداهما، وبالعمل بالآيتين يخرج بالمكلف من العهدة بيقين[4].

وكقوله تعالى: "**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**" [5] فإنه مطلق وورد القيد في قوله تعالى: "**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ**

---

1 ) البحر المحيط: الزركشي ج5 ص8؛ وإرشاد الفحول: الشوكاني ص164.

2 ) سورة المائدة: الآية 3.

3 ) سورة الأنعام: الآية 145.

4 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ج2، ص6 من تعليق المحقق.

5 ) سورة النساء: الآية 11.

**إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ"**[1] فنصيبه هنا مقيد بأن يكون بعد الوصية والدين فيحمل المطلق على المقيد في جميع المواريث فلا يوزع شيء من التركة على الورثة إلا بعد الوصية والدين.

**الصورة الثانية: أن يختلف السبب والحكم**

فإذا اختلف السبب والحكم فلا يحمل المطلق على المقيد باتفاق فقوله تعالى: **"وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا"** [2]

مطلق في الأيدي من غير تقييد لأي اليدين أو إلى أي حد يكون القطع، أما غسل الأيدي في قوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ"** [3]

فمقيد إلى المرافق ولا يصح هنا حمل المطلق على المقيد لاختلاف السبب "سرقة في المطلق" و "وضوء في المقيد" ولاختلاف الحكم "قطع في المطلق" و "غسل في المقيد" فلا يحمل المطلق على المقيد باتفاق كما قال الشوكاني وحكاه الباقلاني والجويني وإلكيا الهراس وابن برهان والآمدي وغيرهم[4].

**الصورة الثالثة: أن يتحد السبب ويختلف الحكم**

فغسل الأيدي في الوضوء مقيد إلى المرافق في قوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ"** [5].

ومسح الأيدي في التيمم مطلق في قوله تعالى: **"فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ"** [6].

ولو نظرنا في الآيتين لوجدنا سبب الوضوء والتيمم واحد وهو "الحدث" ولكن الحكم مختلف ففي الآية الأولى الحكم "الغسل" وفي الثانية "المسح".

---

1 ) سورة النساء: الآية 11.

2 ) سورة المائدة: الآية 38.

3 ) سورة المائدة: الآية 6.

4 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ج2 ص9

5 ) سورة المائدة: الآية 6.

6 ) سورة المائدة: الآية 6

وفي هذه الصورة لا يحمل المطلق على المقيد، قال الشوكاني –رحمه الله تعالى–: "لا خلاف في أنه لا يحمل أحدهما على الآخر بوجه من الوجوه سواء كانا مثبتين أو منفيين أو مختلفين اتحد سببهما أو اختلف،وقد حكى الإجماع جماعة من المحققين آخرهم ابن الحاجب"[1].

**الصورة الرابعة: أن يختلف السبب ويتحد الحكم**

وإذا كان العلماء في الصور الثلاث السابقة اتفقوا أو كادوا على حكم كل صورة فإنهم في هذه الصورة قد اختلفوا.

**ولهذه الصورة حالتان:**

**الأولى: أن يكون القيد واحدًا.**

فالرقبة "مطلقة" في كفارة الظهار في قوله تعالى: **"وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا"** [2].

ومطلقة في كفارة اليمين في قوله تعالى: **"لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ"** [3].

ومقيدة بالإيمان في كفارة القتل الخطأ في قوله تعالى: **"وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ"** [4].

وإذا نظرنا إلى أسباب الكفارة في الآيات الثلاث وجدناها مختلفة ،فالسبب في الآية الأولى "الظهار"، وفي الثانية "الحنث باليمين"، وفي الثالثة "قتل المؤمن خطأ".

وإذا نظرنا إلى الحكم وجدناه واحدًا وهو عتق الرقبة، لكنه في الظهار واليمين مطلق، وفي القتل مقيد فهل يحمل المطلق في هذه الصورة على المقيد فنوجب في كفارة الظهار، واليمين أن تكون الرقبة مؤمنة أيضًا. هذا ما وقع الخلاف فيه بين العلماء.

---

1 ) إرشاد الفحول: الشوكاني ج2 ص12

2 ) سورة المجادلة: الآية 3.

3 ) سورة المائدة: الآية 89.

4 ) سورة النساء: الآية 92.

فذهب الحنفية وأكثر المالكية وروي عن الإمام أحمد إلى أنه لا يحمل المطلق على المقيد ،فيجوز في كفارة الظهار واليمين عتق الرقبة الكافرة، ولا يجوز في كفارة القتل إلا الرقبة المؤمنة.

وذهب أكثر الشافعية والحنابلة إلى حمل المطلق على المقيد فيجب أن تكون الرقبة مؤمنة في جميع الكفارات.

**الثانية: أن يكون القيد متعددًا.**

فالصوم "مطلق" في كفارة اليمين في قوله تعالى: "**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّام**" [1] وفي قضاء رمضان: "**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**" [2].

ومقيد بالتتابع في كفارة القتل في قوله تعالى: "**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ**" [3]. وكذلك في كفارة الظهار في قوله تعالى: "**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا**" [4].

ومقيد بالتفريق في صوم المتمتع بالحج في قوله تعالى: "**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ**" [5].

واتفق العلماء على أنه لا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف القيد وعدم وجود مرجح لأحد القيود. وحمله على أحدهما دون الآخر بلا دليل تحكم فليس أحدهما بأولى من الآخر.[6]

---

1 ) سورة المائدة: الآية 89.

2 ) سورة البقرة: الآية 184

3 ) سورة النساء: الآية 92

4) سورة المجادلة: الآية 3

5 ) سورة البقرة: الآية 196.

6 ) إتحاف ذوي البصائر: د. النملة ج6 ص363.

# الفصل الخامس: الناسخ والمنسوخ[1]

**المبحث الأول: تعريف، وحكمه، وشروطه:**

**المطلب الأول تعريف النسخ لغة واصطلاحًا:**

**النسخ لغة:** يطلق بمعنى **الرفع والإزالة**، ومنه يقال: نسخت الشمس الظل؛ أي أزالته. ونسخت الريح التراب والآثار، ويطلق **بمعنى نقل** الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29)**﴾[2][الجاثية:29]، يعنى: نكتبه وننسخه.

**والنسخ في الاصطلاح:** رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ.

**دلالة التعريف:** قال البعض:"بخطاب شرعي" والدليل الشرعي أحسن؛ لأن الفعل داخل في الدليل دون الخطاب.

وقوله: متراخ: احتراز من التخصيص؛ لأن التخصيص يأتي متراخيًا ومتصلاً أو مقارنًا.

وزوال الحكم بالموت والجنون ليس بنسخ، والحكم: ما تعلق بالمكلف بعد وجوده أهلا [3].

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: 106]، وعلى الآية، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر.

---

1 )هذا المبحث من اعداد أستاذي الدكتور محمد حسن الخولى من كتابه دراسات في علوم القرآن

(2) ينظر مادة(نسخ) في لسان العرب، لابن منظور، 61/3، الصحاح، للجوهري، 433/1، تاج العروس، للزبيدي، 355/7 .

(3) في تعريف النسخ ومحترزات التعريف ينظر: العدة، لأبي يعلى، 778/3، نهاية السول، الأسنوي 162/2، إرشاد الفحول، الشوكاني ص184، أصول السرخسي 54/2، المستصفى، للغزالي 107/1، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري 155/3، شرح الكوكب، لابن النجار 526/3.

والمنسوخ هو الحكم المرتفع بناسخ، فآية المواريث مثلاً أو ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين.

ولا يكون الناسخ أضعف من المنسوخ عند الأكثر[1].

ولا نسخ مع إمكان الجمع بين الدليلين؛ لأنا إنما نحكم بأن الأول منهما منسوخ إذا تعذر علينا الجمع، فإذا لم يتعذر وجمعنا بينهما بكلام مقبول أو بمعنى مقبول، فلا نسخ[2].

**المطلب الثاني: حكم النسخ قبل وقت الفعل:**

يجوز النسخ قبل وقت الفعل، أي قبل دخول وقت الفعل عند الحنابلة وأكثر الشافعية والأشعرية، وقد ذكر الآمدى أن هذا قول أكثر الفقهاء. ومنعه أكثر الأحناف والمعتزلة[3].

والدليل على الجواز: ما روى عن أبي هريرة أنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وَفُلانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وَفُلانًا وَإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إِلا اللهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا[4].

**المطلب الثالث: شروط النسخ:**

1. أن يكون الحكم المنسوخ حكمًا شرعيًا؛ أي قد ثبت بالشرع.
2. أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعيًا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه.
3. ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيد بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخًا.

---

(1) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ص 187، المستصفى، للغزالي 124/1، نهاية السول، الأسنوي 179/2، العدة، لأبي يعلى، 788/2.

(2) ينظر: العدة لأبي يعلى 835/3، المسودة، لابن تيمية ص 229 وما بعدها.

(3) ينظر الأحكام للآمدي 126/3، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري 169/3، نهاية السول، الأسنوي 173/2، المستصفى، للغزالي 112/1،113.

(4) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، 4/ 61، ح3016.

4. لا يجوز النسخ بالإجماع أو القياس؛ لأن الإجماع حجة انعقدت بعد انقطاع الوحي. أما القياس ؛ فلأنه يستنبط من أصل، فلا يصح نسخه مع بقاء الأصل المستنبط منه.
5. قال"مكي" (ت37هـ) في كتابه (الناسخ والمنسوخ):"ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعرًا بالتوقيت والغاية مثل قوله في سورة البقرة: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: 109] محكم غير منسوخ؛ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه.

**المبحث الثاني: ما يقع فيه النسخ**

مما سبق، يتبين لنا أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي، سواء أكانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي، على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو الآداب الخلقية، أو أصول العبادات والمعاملات؛ لأن الشرائع كلها لا تخلو من هذه الأصول، وهي متفقة فيها، قال تعالى:﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾[ الشورى: 13] وقال:( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة: 183]

وقال: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾[الحج: 27]

وقال في القصاص: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [ المائدة: 45].

وقال في الجهاد: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾[ آل عمران: 146]، وفي

الأخلاق:﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18)**﴾[ لقمان: 18].

كما لا يدخل النسخ الخبر الصريح الذي ليس بمعنى الطلب كالوعد والوعيد.

أما العقائد: فلأنها حقائق ثابتة صحيحة لا تقبل التغيير والتبديل، فبدهي ألا يتعلق بها نسخ.

وأما أمهات الأخلاق: فلأن حكمة الله في شرعها، ومصلحة الناس في التخلق بها أمر ظاهر لا يتأثر بمرور الزمن، ولا يختلف باختلاف الأشخاص والأمم حتى يتناولها النسخ بالتبديل والتغيير.

وأما أصول العبادات والمعاملات: فلوضوح حاجة الخلق إليها باستمرار، لتزكية النفوس، وتطهيرها، ولتنظيم علاقة المخلوق بالخالق والخلق على أساسهما، فلا يظهر وجه من وجوه الحكمة في رفعها بالنسخ[1].

**المبحث الثالث:أهمية النسخ، وحكمته، وطرق معرفته.**

**المطلب الأول: أهمية معرفة النسخ:**

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد روى أن عليًا –رضي الله عنه– مر بِقَاصٍّ، فَقَالَ:أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لا قَالَ:"هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ"[2].

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾[ البقرة: 269] قال: الْمَعْرِفَةُ بِالْقُرْآنِ، نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَمُقَدَّمِهِ وَمُؤَخَّرِهِ وَحَلالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْثَالِهِ"[3].

---

(1) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني، 212/2، إرشاد الفحول للشوكاني ص188، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص247 .

(2) مصنف عبد الرزاق، كتاب الجمعة، باب ذكر القصاص،220/3،ح5407، وينظر: الإتقان، للسيوطي، 27/2.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره، 576/5 . وينظر الإتقان، للسيوطي، 3/2.

**المطلب الثاني: حِكَم النسخ[1]:**

1 . ترقية الأمة وتدرجها إلى مرتبة الكمال، فالله تعالى تعهد هذه الأمة بما يرقيها ويمحصها، وقد جاءت الشريعة متلطفة في دعوة الناس، متدرجة بهم إلى الكمال، صاعدةً بهم في مدارج الرقي شيئًا فشيئًا، ومن الصعب إلى الأصعب. وهذه الحكمة تتجلى فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ.

2 . أما إذا كان الحكم الناسخ هو الأسهل، فالتخفيف على الناس، معناه إظهار رحمة الله تعالى عليهم وبيان فضله، وفي ذلك إغراء لهم على المبالغة في شكر الله وحمده ومحبة دينه.

3 . أما التساوي بين الناسخ والمنسوخ فحكمته الابتلاء والاختبار ليميز الله الخبيث من الطيب.

4 . أما حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم، حتى يشهدوا أنّ هذا الدين هو الدين الحق، وأن الرسول هو نبي الصدق، يضاف إلى ذلك ما يكتسبونه من الثواب على هذه التلاوة، والوقوف على ما حوته تلك الآيات المنسوخة من بلاغة.

**المطلب الثالث: طرق معرفة النسخ:**

1. أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما.
2. إجماع الأمة على تعيين المتقدم والمتأخر منهما.
3. وروده عن أحد من الصحابة بطريق صحيحة كأن ينص الصحابي على نزول هذه الآية بعد ذلك.

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 196/2.

**المبحث الرابع: آراء العلماء في حقيقة النسخ وأدلته.**

**والناس في النسخ على أربعة أقسام:**

**1 . اليهود:** ينكرونه ويزعمون أن النسخ يستلزم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون ذلك: أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على الله، وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن من قبل، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل، وهو محال على الله تعالى [(1)].

واستدلالهم هذا فاسد؛ لأن كلاً من حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ معلوم لله تعالى من قبل، فلم يتجدد علمه بها. وهو سبحانه ينقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة معلومة له من قبل بمقتضى حكمته وتصرفه المطلق في ملكه.

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها. وجاء في نصوص التوراة النسخ، كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله، قال تعالى في إخباره عنهم: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران:93] وقال:﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [الأنعام: 146]، وثبت في التوراة أن آدم كان يزوج من الأخت. وقد حرم الله ذلك على موسى، وأن موسى أمر بني اسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم [(2)].

**2 . الروافض:** غالى هؤلاء في إثبات النسخ وتوسعوا فيه، وأجازوا البداء على الله تعالى، فهم مع اليهود على طرفي نقيض، واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي **–رضي الله عنه–** زورًا وبهتانًا، وبقوله تعالى:﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[ الرعد: 39] على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات.

---

( 1) شرح الكوكب، لابن النجار 536/3.

(2) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ص 185، النسخ في القرآن، د مصطفى زيد 27/1، الملل والنحل للشهرستاني 215/1، الفصل في الملل، لابن حزم 99/1،، فواتح الرحموت، للسهالوي 55/2.

وذلك إغراق في الضلال، وتحريف للقرآن؛ فإن معنى الآية: ينسخ الله ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، والمحو والإثبات موجود في كثير من الحالات، كمحو السيئات بالحسنات ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [ هود:114] ومحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة وإثبات إيمانهم وطاعتهم[1]. ولا يلزم من ذلك الظهور بعد الخفاء، بل يفعل الله هذا مع علمه به قبل كونه.

ولا يجوز البداء على الله عز وجل، وهذا عند كافة المسلمين، بخلاف النسخ فهو جائز وواقع، والفرق بينهما واضح بين، قال الشيرازي: إن البداء أن يظهر له ما كان خفيًا، ونحن لا نقول فيما ينسخ أنه ظهر له ما كان خافيًا عليه، بل نقول: إنه أمر به وهو عالم أنه يرفعه في وقت النسخ، وإن لم يطلعنا عليه فلا يكون ذلك بداء. والقول بتجدد العلم – أي علم الله عز وجل– كفر بإجماع أئمة أهل السنة[2].

**3 . أبو مسلم الأصفهاني**[3]: وهو يجوّز النسخ عقلاً ويمنع وقوعه شرعًا، وقيل: يمنعه في القرآن خاصة محتجًا بقوله تعالى: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[فصلت: 42]. على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدًا. ويحمل آيات النسخ على التخصيص.

ورد عليه بأن معنى الآية أن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله[4].

---

(1) الكشاف، للزمخشري،2/ 534 .

(2) التبصرة، للشيرازي 253، شرح الكوكب، لابن النجار536/3، الإحكام لابن حزم446/4، الإحكام للآمدي109/3، اللمع، للشيرازي ص31.

(3) هو محمد بن بحر، المشهور بأبي مسلم الأصفهاني، معتزلي، من كبار المفسرين ولد(254هـ) وتوفى سنة 322هـ. أهم كتبه "جامع التأويل" في التفسير. ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، 59/1 الوافي بالوفيات، الصفدي 244/2، طبقات المفسرين للداودي 106/2، لسان الميزان، لابن حجر، 89/5.

(4) ينظر: اضطراب النقول عن أبي مسلم في مسألة جواز النسخ وعدمه في شرح الجوامع للمحلى، 88/2، التبصرة للشيرازي ص 251. وعلى فرض أن الخلاف لفظي مع الجمهور

**4 . جمهور العلماء:** على جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعًا لأدلة:

**أدلة جوازه سماعًا:**

1. قال تعالى:﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[النحل101]، ووجه الدلالة في هذه الآية أن التبديل يتألف من رفع لأصل وإثبات لبدل، وذلك هو النسخ، سواء أكان المرفوع تلاوة أم حكمًا.
2. وقال:﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: 106]
3. وفي الصحيح عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: لا أَدَعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: ١٠٦][(1)].

**أما أدلة جوازه عقلاً:**

**1 .** أن لله تعالى أن يكلف عباده بما شاء لمصلحة ولغير مصلحة. وأحوال العباد تختلف من حال إلى حال، فيختلف التكليف لمصلحة العباد، ألا ترى أن الرجل قد يكون من مصلحته في: وقت البر واللطف، وفي وقت آخر مصلحته: التشديد والعنف، ويبين صحة هذا أن الطاهر تصوم وتصلي والحائض تمنع منهما[(2)].

**2 .** إن النسخ لو لم يكن جائزًا عقلاً وواقعًا سمعًا، لما ثبتت رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة، لكن رسالته عامة للناس، ثابتة بالأدلة القاطعة، إذن فالشرائع السابقة ليست باقية، بل هي منسوخة بهذه الشريعة الختامية، وإذن فالنسخ جائز وواقع.

---

فأبو مسلم قد أساء الأدب مع الله في تحمسه لرأي قائم على تحاشي لفظ اختاره الله سبحانه وتعالى.

(1) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها)، 19/6، ح4481 .

(2) العدة، لأبي يعلى 772/3.

**المبحث الخامس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة.**

**النسخ يرد في القرآن وقد يرد في السنة، وهو أقسام أربعة:**

**القسم الأول:** نسخ القرآن بالقرآن، وهو أنواع:

1. نسخ التلاوة والحكم معًا.
2. نسخ الحكم دون التلاوة.
3. ونسخ التلاوة دون الحكم.

**القسم الثاني:** نسخ القرآن بالسنة: قد اختلف العلماء في هذا القسم بين مجوز ومانع ثم اختلف المجوزون بين قائل بالوقوع وقائل بعدمه.

والمجيزون هم المالكية وأصحاب أبي حنيفة والأشاعرة والمعتزلة.

والمانعون هم الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه وأكثر أهل الظاهر[1].

**وهو نوعان:**

ا-نسخ القرآن بالسنة الأحادية. والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والأحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب-ونسخ القرآن بالسنة المتواترة. وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية؛ لأن الكل وحي، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)** [النجم: 3-4] ومنعه الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الأخرى، لقوله تعالى: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ **[ البقرة: 106]** والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله.

**القسم الثالث:** نسخ السنة بالقرآن: وهو جائز، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن في قوله:﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ**

---

( 1) ينظر: العدة، لأبي يعلى 788/3، الرسالة، للشافعي، ص 108، تيسير التحرير، لأمير بادشاه، 203/3، شرح تنقيح الفصول، القرافي، ص311، الإحكام، الآمدي 477/4.

**بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[البقرة: 144] ووجوب صوم يوم عاشوراء، كان ثابتًا بالسنة[1] ونسخ بقوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾[البقرة: 185] ومنع هذا القسم الشافعي في إحدى روايتيه، وقال:"وحيث وقع بالسنة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعه سنة عاضدة، تبين توافق الكتاب والسنة"[2].

**القسم الرابع:** نسخ السنة بالسنة:

وتحت هذا أربعة أنواع:

نسخ سنة متواترة بمتواترة. ونسخ آحاد بآحاد.

ونسخ آحاد بمتواترة. ونسخ سنة متواترة بآحاد.

والثلاثة الأولى جائزة عقلاً وشرعًا– أما النوع الرابع فالجمهور على عدم جوازه[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، 43/3، ح2001 بسنده عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ρ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر".

(2) تنظر المسألة في: الرسالة، للشافعي، 311–345، تيسير التحرير، لأمير بادشاه 202/3، المستصفى، للغزالي،124/1، العدة، لأبي يعلى 802/3.

(3) تنظر: المسألة في: العدة، لأبي يعلى 826/3، شرح تنقيح الفصول، القرافي ص 314، المحصول، للرازي532،3، نهاية السول، الأسنوي 186/2، الإحكام لابن حزم 488/4، المستصفى، للغزالي، 126/1، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري 175/3، شرح الكوكب، لابن النجار 570/3.

## المبحث السادس: أنواع النسخ في القرآن:

**والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع:**

**أما النوع الأول: نسخ الحكم وبقاء التلاوة:**

وهذا النوع لا خلاف فيه عند القائلين بالنسخ، وذكر العلماء فيه الآيات المتعددة. والتحقيق أنها قليلة.

ومثاله:نسخ حكم آية العدة للمتوفى عنها زوجها بالحول مع بقاء تلاوتها،فالعدة كانت في بدء الأمر حولاً، فنسخت إلى أربعة أشهر وعشرا، وهما جميعًا في القرآن، قال تعالى﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**﴾ [ البقرة: 240] نسخ بقوله﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)**﴾ [البقرة: 234] وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين[(1)].

ومثله آية المناجاة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[ [المجادلة: 12] فقد أخرج الترمذي عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: 12] قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: مَا تَرَى، دِينَارًا؟" قَالَ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَنِصْفُ

---

(1) ينظر: أحكام القرآن للجصاص414/1، فتح القدير للشوكاني 259/1، الدر المنثور، للسيوطي 309/1.

قال ابن كثير، رحمه الله عند تفسيره للآية: قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِالَّتِي قَبْلَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}. قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيع عَنْ حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكة، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} قَدْ نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا –أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ .

وَمَعْنَى هَذَا الْإِشْكَالِ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِعُثْمَانَ: إِذَا كَانَ حُكْمُهَا قَدْ نُسِخَ بِالْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ فَمَا الْحِكْمَةُ فِي إِبْقَاءِ رَسْمِهَا مَعَ زَوَالِ حُكْمِهَا، وَبَقَاءِ رَسْمِهَا بَعْدَ الَّتِي نَسَخَتْهَا يُوهِمُ بَقَاءَ حُكْمِهَا؟ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ، وَأَنَا وَجَدْتُهَا مُثْبَتَةً فِي الْمُصْحَفِ كَذَلِكَ بَعْدَهَا فَأُثْبِتُهَا حَيْثُ وَجَدْتُهَا.ا.هـ.

دِينَارٍ؟ قُلْتُ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَكَمْ؟" قُلْتُ: شَعِيرَةٌ، قَالَ: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ" .قَالَ: فنزلت ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ..**﴾ [المجادلة: 13]. قَالَ: فَبِي خَفَّفَ اللهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ[1].

وعن علي بن أبي طالب قال: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت. وقال"وما كانت إلا ساعة من نهار"[2].

**وقد يقال: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ والجواب من وجهين:**

**أحدهما:** أن القرآن، كما يتلى ليعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يتلى كذلك لكونه كلام الله فيثاب عليه، فبقيت التلاوة لهذه الحكمة.

**وثانيهما:** أن النسخ غالبًا يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة في رفع المشقة. وأما حكمة النسخ قبل العمل، كالصدقة عند النجوى، فيثاب على الإيمان به، وعلى نية طاعة الأمر.

**النوع الثاني: نسخ التلاوة والحكم معًا.**

وقد مثل له العلماء بما رواه مسلم وغيره عن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ[3].

فنسخت العشر تلاوة وحكمًا بخمس، ونسخت الخمس تلاوة، وبقي حكمها عند الشافعية[4].

**وهذا المثال فيه نظر.**

---

(1) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ρ، باب: ومن سورة الجمعة، 329/5 ،ح3300.

( 2) فتح القدير للشوكاني 191/5، الدر المنثور للسيوطي 185/6.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات، 1075/2.

(4) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب، ص 45،44 وشرح الكوكب، لابن النجار 557/3.

أولاً: أن بعض الروايات تصف العشر –كما في رواية مسلم السابقة– بالمعلومات، وبعضها ليس فيه هذا الوصف، كما عند أبي داود[1].

ثانيًا: أن بعض الروايات تذكر أن رسول الله ﷺ توفي وهن مما يقرأ –كما في رواية مسلم السابقة– وبعضها تذكر أنه قد سقط من القرآن[2].

ثالثًا: أن بعض الروايات[3] تذكر أن العشر رضعات كانت أولا، ثم جاءت بعدها الخمس –كما في رواية مسلم السابقة– وبعضها يبين أن الخمس والعشر كانتا معًا.

فإذا كان هذا قرآنًا فلم الاختلاف الكبير فيه.

قال أبو شهبة:" فاختلاف الرواية عنها يدل على أنه كان باجتهاد منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة، ولو كان قرآنًا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف"[4].

قال فضل عباس :" وقد يقال : إن هذه الخلافات لا تؤثر فيه على هذه الرواية ويعتمد منها أصحها وهو ما جاء عند الإمام مسلم، لكن هذا الجواب لا يُذهب ما يُتصل بهذه الروايات من إشكالات، ولا يُذهب ما في النفوس من تساؤلات، فإذا كان هذا قرآنًا يقرؤه الناس فكيف يختلف الصحابة –رضوان الله عليهم– في عدد الرضعات المحرمة، وهذا الخلاف استمر بعد الصحابة إلى التابعين ومن بعدهم"[5].

**وقد نفي كونه قرآنًا بعض العلماء، وإليك بيان ذلك:**

قال الحافظ ابن حجر في الفتح، في معرض ذكر ما يقوي مذهب الجمهور القائلين بتحريم قليل الرضاع وكثيره: وأيضا فقول عائشة: عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فمات النبي ﷺ ، وهن مما يقرأ– لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قول الأصوليين؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والراوي روى هذا على أنه قرآن، لا خبر، فلم يثبت كونه قرآنًا، ولا ذكر الراوي أنه خبر ليقبل قوله فيه[6].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب النكاح ، باب هل يحرم ما دون خمس رضعات، 182/2، ح2062.

(2) سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، باب لا تحرم المصة ولا المصتان، 122/3، ح1942.

(3) المصدر السابق، والمعجم الأوسط، للطبراني، 99/3، ح2611 .

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبوشهبة، 296.

(5) اتقان البرهان، فضل عباس: ص38.

(6) فتح الباري لابن حجر، 147/9 .

وقال أبو شهبة:" إن هذه الرواية مهما صحت فهي آحادية لا يثبت بها قرآن؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، ثم هي أيضًا لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، وهو القرآن الذي بين أيدينا اليوم، وغاية ما تدل عليه هذه الرواية أنها خبر لا قرآن.

وقال أيضًا:" ومما يدل على أنه ليس قرآنًا، وأنه كان تشريعًا ثابتًا بالسنة، ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها في القدر المحرم"[1].

فمما سبق يتضح لنا عدم قرآنية ما جاء عن عائشة رضي الله عنها" كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات"

**النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.**

واستدل العلماء لهذا النوع بآية الرجم.

وقد جاء التصريح بذكرها عند النسائي وغيره من حديث عمر رضي الله عنه وهي: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ"[2].

واستدلالهم بحديث عمر رضي الله عنه، فيه نظر.

1. أنه لم يأت التصريح عند البخاري بقوله الشيخ والشيخة[3]، قال ابن حجر:" ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمدًا"[4].
2. قال النسائي:" لا أعلم أحدًا ذكر في هذا الحديث الشيخ والشيخة غير سفيان وينبغي أن يكون وهم في ذلك[5].
3. وقال الشيخ أبو شهبة:" هذه الروايات آحادية فهي لا يثبت بها قرآن، ولا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، وغاية ما تدل عليه أنها حديث من أحاديث رسول الله، وسنة من السنن"[1].

---

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، 295.

(2) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، تثبيت الرجم، 410/6، ح7135.

(3) صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، 168/8، ح6830.

(4) فتح الباري، لابن حجر، 143/12 .

(5) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، تثبيت الرجم، 410/6، ح7135.

4. أخرج مالك في موطئه عن عمر... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: زَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي كِتَابِ اللهِ، لَكَتَبْتُهَا ( الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا اَلْبَتَّةَ) فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا[2]. قال أبو شهبة:" إذ لا يقال: زاد لما عرف أنه منه، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة وحكما لازما حث على حفظها وقراءتها ودراستها، حتى لا يغفل الناس عنها، كما حث على حفظ آي القرآن.
5. أنه ورد نصُّ الآية بعبارات مختلفة، فواحدة منها تذكر قيد الزنا بعد ذكر الشيخ والشيخة، وواحدة لا تذكره، وثالثة تذكر عبارة "نكالاً من الله"، ورابعة لا تذكرها، وما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية ولو نُسِخَ لفظها، وفي بعض هذه الروايات جاءت بعض العبارات التي لا تتفق ومكانة عمر ولا عائشة، مما يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسِّهَا على المسلمين[3].
6. قال الشيخ أبو شهبة:" وإن نظرة فاحصة في «الشيخ والشيخة... إلخ» لترينا أنها ليس عليها نور القرآن ومسحته، ولا فيها حكمته وإعجازه"[4].

قال أبو جعفر: "وإسناد الحديث صحيح إلا أنه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ولكنه سنة ثابتة"[5].

وبعد البيان لهذه الأنواع يتبين لنا أن النوع الأول وهو (نسخ الحكم وبقاء لتلاوة) قد تحقق في القرآن الكريم، لذا فهو مقبول .

أما النوع الثاني والثالث: فمرفوضان؛ لأنهما لم يتحققا في واقعة واحدة.

---

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، 302، وينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، 250

(2) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب الرجم 2/ 824، والشافعي في ترتيب مسند الشافعي 81/2 وابن ماجة في الحدود، باب الرجم، 853/2

(3) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، 250.

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ص303.

(5) الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ص61 .

**المبحث السابع: النسخ إلى بدل وإلى غير بدل:**

الحكم الذي ينسخ، إما أن يحل مكانه حكمًا آخر فهو النسخ ببدل، وإما لا، فهو النسخ بغير بدل وكلاهما جائز عقلاً وواقع سمعًا على رأي الجمهور[1].

1 . فالنسخ إلى غير بدل: كنسخ تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ في قوله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: 12].

نسخت بقوله: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا...**﴾ [المجادلة: 13] فرفع هذا التكليف من غير أن يكلف الناس بشيء مكانه، بل تركهم في حل من ترك الحكم الأول دون أن يوجه حكمًا آخر.

وأنكر بعض المعتزلة والظاهرية ذلك، وقالوا: إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ [البقرة: 106]. حيث أفادت الآية أنه لا بد أن يؤتي مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر خير منه أو مثله[2].

ويجاب عن ذلك بأن الله تعالى، إذا نسخ حكم الآية بغير بدل، فإن هذا يكون بمقتضى حكمته، ورعايته لمصلحة عباده، فيكون عدم الحكم خيرًا من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس، ويصح حينئذ أن يقال: إن الله نسخ حكم الآية السابقة بما هو خير منها حيث كان عدم الحكم خيرًا للناس.

2 . النسخ إلى بدل أخف: مثل قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾ [البقرة:187] الآية- فهي ناسخة لقوله: ﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [ البقرة:183]؛ لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا العتمة أو ناموا إلى الليلة التالية، كما ذكروا ذلك.

3 . النسخ إلى بدل مساو: كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾**البقرة 144].**

---

(1) ينظر: العدة، لأبي يعلى 785/3، مناهل العرفان، للزرقاني، 186/2.

(2) ينظر: شرح الكوكب، لابن النجار 545/3، الإحكام للآمدى 135/3، إرشاد الفحول، الشوكاني ص 187، المستصفى، للغزالي، 119/1، فواتح الرحموت، للسهالوي 69/2.

4 . والنسخ إلى بدل أثقل: كنسخ صوم يوم عاشوراء، بصوم شهر رمضان كله.

ونحوه كنسخ إباحة الخمر بتحريمها، ومنه أنه تعالى نسخ ما فرض من مسالمة الكفار المحاربين بما فرض من قتالهم وهو كره.

وهذا النوع محل خلاف، والجمهور على الجواز [1].

**أسئلة للمناقشة:**

1) عرّف النسخ لغة واصطلاحًا مع شرح التعريف
2) هل يقع النسخ قبل وقت الفعل؟ دلل على ما تقول.
3) وضح شروط النسخ.
4) بيّن ما يقع فيه النسخ ومالا يقع .
5) لمعرفة النسخ أهمية كبرى، وضح ذلك.
6) ما حكم النسخ؟ ، وما طرق معرفته؟
7) اذكر آراء العلماء في حقيقة النسخ مع ذكر أدلتهم .
8) اذكر أدلة جواز النسخ عقلاً وسمعًا
9) هل يجوز نسخ القرآن بالسنة؟
10) أكمل ما يأتي

أ. أنكر.....النسخ، بينما توسع فيه .....، وقال بجواز وقوعه عقلا وامتناع وقوعه شرعًا .....

ب.أنواع النسخ في القرآن ثلاثة هي .....، .....، .....

11) اذكر مثالا لنسخ السنة بالقرآن.
12) ما أنواع نسخ السنة بالسنة؟
13) ما وجه الدليل في قوله تعالى ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: 106]
14) اذكر مثالا لما يأتي:

---

(1) تفسير ابن كثير، 204/2.

أ- نسخ إلى بدل أخف.

ب- نسخ إلى بدل مساو.

ج- نسخ إلى بدل أثقل.

د- نسخ إلى غير بدل.

## الفصل السادس: القصص في القرآن الكريم.([1])

**مقدمة:**

يمتاز القصص القرآني بسمو غاياته، وشريف مقاصده، وعلو مراميه؛ حيث يشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس، ويحمل الطباع، وينشر الحكمة والآداب.

لقد طرق القصص القرآني في التربية والتهذيب مذاهب شتى، فطورا تساق القصة مساق الحوار، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار، كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم والشعوب وحكامهم.

لقد قص ذلك في قول بيّن، وأسلوب حكيم، ولفظ رائع، وافتنان عجيب؛ ليدل الناس على الخلق الكريم، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح، ويرشدهم إلى العلم النافع، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد.

لقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها، والقصص القرآني يمثل هذه النوعية من الفن تمثيلا قويا وبليغا؛ وذلك لتوافر الصدق فيه[(2)].

**المبحث الأول: معنى القصص:**

القصص: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى: **﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾** [الكهف: 64]، أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال تعالى على لسان أم موسى. وقال تعالى:( **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[القصص:11]، أي: تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، قال تعالى:( **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[آل عمران:62]، وقال تعالى:"**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ**

---

1 )من كتاب علوم القرآن اعداد :أد محمد حسن الخولى

(2) ينظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط. دار الجيل، بيروت.

**الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [يوسف: 111]، والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

**وقصص القرآن:** إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

**والقصص في القرآن الكريم لا يراد به سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنما هي عبرة** للناس، كما قال تعالى في سورة هود، بعدما ذكر موجزا من سيرة الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، قال تعالى:( **كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [هود: 120]. ولذلك لا تذكر الوقائع والحوادث بالترتيب، ولا يراد فيها الاستقصاء.

قال ابن كثير: يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من الحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين. كل هذا مما نثبت به فؤادك، أي: قلبك يا محمد؛ ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة[1].

(1) تفسير ابن كثير 465/2.

**المبحث الأول: أنواع القصص في القرآن:**

**القصص في القرآن الكريم ثلاثة أنواع[1]:**

**النوع الأول- قصص الأنبياء:** وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

ويحتل قصص الأنبياء جانبا غير قليل من السور المكية، ويتركز بصفة خاصة في مجموعة من السور، يحمل بعضها اسم واحد من الأنبياء. بالإضافة إلى سورة"الأنبياء" التي يشير اسمها إلى موضوعها، وتلك السور هي: الأعراف ويونس وهود ويوسف وإبراهيم والكهف ومريم وطه والأنبياء والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والصافات وص... غير إشارات عديدة جدا في كثير من السور المكية.

**النوع الثاني:** قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم.

كقصة الذين أخرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

**النوع الثالث:** قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ.

كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب وبنى قريظة في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

**المبحث الثاني: أهداف قصص الأنبياء:**

**يجيء القصص في القرآن لأهداف شتى منها:**

1- إثبات صدق الوحي المنزل على رسول الله ﷺ:

يقول سبحانه:**( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾** [يوسف: آية 3][2].

---

(1) ينظر: في رحاب التنزيل ، إسلام دربالة ، 156، نفحات من علوم القرآن ، محمد أحمد معبد، 107.

(2) وينظر: هود: آية 49، طه: آية 99، 100، القصص: الآيات 44-46 .

2- التسرية عن الرسول ﷺ فيما يلقاه من قومه تكذيب وأذى، واتهام بالسحر والجنون، فقد كذب الرسل من قبل، ووجه لهم نفس القول، ثم صبروا، قال تعالى:( **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأنعام: آية 34][1].

ومع التسرية عن الرسول ﷺ، التسرية عن المؤمنين كذلك، وهم يلقون العنت والعذاب بسبب إيمانهم، فيعرض عليهم قصص الأمم السابقة؛ليعلموا أن هناك مؤمنين قبلهم أذيقوا ألوان العذاب والتشريد، ثم صبروا على عقيدتهم، ثم يخبرهم أن العاقبة للمتقين، إما بنصر في الحياة الدنيا يقدره الله، وإما بالجزاء الأوفى في الآخرة، وهنا ترد – كثيرا – عقيدية مع فرعون، وهو يسومهم سوء العذاب[2].

3- كذلك من أهداف القصص القرآني: إبراز حقيقة عقيدية مهمة،تبرز من خلال السرد التاريخي، وهي أن الأنبياء والرسل جميعًا،عليهم صلوات الله وسلامه، جاءوا بكلمة واحدة على تتابع الأجيال، هي: لا إله إلا الله، وقضية واحدة هي: اعبدوا الله مالكم من إله غيره.

هذا الهدف من أهم أهداف القصص القرآني، ويبدو بارزا، شديد البروز من خلال السرد القرآني، وتتخذ له وسائل شتى. فأحيانا يوجد أسلوب القصص (مع التنويع الواضح في القرآن) بحيث تجيء العبارة موحدة على لسان كل رسول في الشريط المتتابع للرسل، كل رسول يقول الكلمة ويمضي، ويأتي من بعده بنفس الكلمة بلا تغيير.

وتارة يقال عن قوم معينين إنهم كذبوا"الرسل" مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسول واحد، ليوحي التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب للرسل كلهم؛ لأنهم يقولون ذات الشيء بلا تغيير، فمن كذب واحدا، منهم فقد كذبهم جميعا.

وتارة يقال عن أقوام متعددين: إنهم عصوا رسول ربهم، فيوضح ذلك، أن كل أمة كذبت رسولها، ويوحي في ذات الوقت أنه كأنما هو رسول واحد الذي بعث إلى هذه

---

(1) وينظر: الأعراف: الآيتان 101، 102، هود: آية 120، يوسف: آية 110، الفرقان: آية 31، ص: الآيات 4-15، فصلت: آية 43، الذاريات الآيتان 52، 53 .

(2) الأعراف: الآيات 129-137، القصص: الآيات 1-6، طه: الآيات 70-73.

الأقوام جميعًا؛ لأنهم – على اختلاف أقوامهم، وأزمانهم وأماكنهم ولغاتهم – قد قالوا ذات الكلمة وعرضوا ذات القضية... ومن هنا فالرسل جميعًا كأنهم رسول واحد يتكرر لكل قوم من الأقوام.

**فمن أمثلة النوع الأول ما جاء في سورة الأعراف قال تعالى:( لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا**

**بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85).** [الأعراف: 59-85] [(1)].

ومن أمثلة النوع الثاني سورة الشعراء نفسها، التي جمعت بين الوسيلتين، إذ وحدت قول الرسل كلهم في عبارة واحدة، يكررها كل رسول، ثم جعلت كل قوم بمفردهم يكذبون"المرسلين" جميعا؛ بتكذيبهم للرسول الخاص الذي أرسل إليهم. وكذلك ما جاء في سورة الفرقان عن قوم نوح من أنهم كذبوا"الرسل"،مع أنهم كذبوا رسولهم الخاص وحده وهو نوح، عليه السلام. ولكن ذلك بمثابة تكذيب الرسل جميعا:**( وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[الفرقان: آية 37].

**ومن أمثلة النوع الثالث ما جاء في سورة الحاقة:( كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً )**[الحاقة: 4-10].

والتعبير – وإن كان يفهم منه أن كل فرقة من هؤلاء قد عصت رسولها – إلا أن اللفتة فيه واضحة، أن الرسل كلهم الذين أرسلوا إلى فرعون ومن قبله، والمؤتفكات، قد

(1) وينظر: هود: آية 25-48، الشعراء: آية 105-180.

جمعوا في رسول واحد؛ لأن مهمتهم كلها واحدة، وقضيتهم كلها واحدة.. فكأنهم رسول واحد تكرر بعثه لكل فرقة منهم في حينها.

وكذلك ما جاء في سورة الشعراء عن موسى وهارون معا أنهما"رسول" رب العالمين:﴿ **قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[الشعراء: 15-17] وليس هناك لبس على الإطلاق في أن المتكلم اثنان معا لا واحد؛ لأن الأمر صار إليهما معا "فقولا"؛ ولأنهما يقولان"أن أرسل معنا بني إسرائيل" فموسى وهارون يتكلمان معا،وحتى لو فرضنا أن موسى وحده هو الذي يتكلم باسميهما معا فهو يقول"إنا" ولا يقول"أنا".. أي: أنه يتكلم بضمير المثنى لا المفرد، ومع ذلك يقول:"إنا رسول رب العالمين"؛ لأنهما – وهما شخصان – يقومان بمهمة واحدة ورسالة واحدة فكأنهما رسول واحد.

هذه القضية كما قلنا ذات أهمية خاصة في القرآن، وهي فضلا عن أهميتها العقيدية في تقرير وحدة الرسالة، ووحدة الألوهية، وأن توحيد الألوهية هو القضية الكبرى في حياة البشرية، بحيث يرسل الرسل المتتابعون من أجلها وحدها، وكل شيء بعد ذلك مترتب عليها. فضلا على هذا الجانب الاعتقادي، فإنه يعطي شعورا"بالانتماء" إلى أمة موحدة على تتابع الأجيال:﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[الأنبياء: 92].

4- ومن الأهداف المهمة كذلك الموازية في أهميتها لقضية وحدة الرسالة ووحدة الرسل، إبراز الموقف الموحد الذي يقفه أهل الباطل جميعا من رسلهم، الذين أرسلوا إليهم.

فكما أنها رسالة واحدة مكررة، وإن اختلف الأشخاص واللغات والزمان والمكان، فهي كذلك ضلالات واحدة مكررة، وإن اختلف الأشخاص واللغات والزمان والمكان:﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53)**﴾[الذاريات: 52-53].

إن موقف أهل الضلال واحد من كل رسول: التكذيب والإعراض... ثم التشهير بالرسول حين يتضح أنه مصر على دعوته، لم يثنه عنها إعراض ولا تكذيب.. ثم

التهديد بالأذى له وللذين آمنوا معه... ثم تنفيذ التهديد أحيانا أو الحيلولة دون ذلك بقدر الله.

دورة واحدة، ودور واحد يقوم به أهل الكفر دائمًا إزاء هذه الدعوة البسيطة غاية البساطة، الخطيرة، غاية الخطورة.. دعوة لا إله إلا الله.

والقرآن يبرز هذا الدور إبرازا شديدًا في قصص الأنبياء. وقد كان من أهداف هذا الإبراز – ولا شك– أن يقال للرسول ﷺ وللمؤمنين: إن ما تفعله بكم قريش من اضطهاد وتعذيب، هو الذي صنعه كل أصحاب الضلالات من قبل في التاريخ... ثم كانت النهاية دائمًا هي انتصار الحق وتدمير المكذبين.

5– الابتلاء لابد أن يحدث للمؤمنين، وهذا الهدف من أهداف القصص القرآني ربما لم يكن منصوصًا عليه في القصص ذاته، ولكنه مفهوم من سياق القصص أولا، ومنصوص عليه كذلك في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما جاء في أول سورة العنكبوت :**( الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3))** [العنكبوت: 1–3].

إن القصص القرآني يقول لنا – من خلال السياق– إن الابتلاء هو سنة الله للمؤمنين.. ثم يقول إن الله هو الذي يضع المؤمنين في الابتلاء بقدر منه.. ويضع الظالمين في موضع الغلبة بقدر منه.. حتى إذا جاء أمر الله، جاء النصر للمؤمنين بقدر من الله، ووقع الهلاك بالمكذبين بقدر من الله كذلك [1].

(1) دراسات قرآنية: محمد خطاب، ص 99–111.

**المبحث الثالث: فوائد القصص القرآني.**

**للقصص القرآني فوائد منها:**

1- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي، قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** )[الأنبياء: 25].

**2-** تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة المحمدية على دين الله، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله.

3- إظهار صدق محمد ﷺ في دعوته، بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

4- مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، قال تعالى: **(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**﴾[آل عمران: 93].

5- التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية، وكما عبر الشاطبي، فإنه ليس المراد بنفي كون قصص القرآن تاريخا، أن التاريخ شيء باطل ضار ينزه القرآن عنه، كلا، إن قصصه شذور من التاريخ تعلّم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ.

6- القصص ضرب من ضروب الأدب والعبر، يصغى إليه السمع، وترسخ عبره وأدبه في النفوس. قال تعالى:**( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**﴾[يوسف: 111].

**المبحث الرابع: تكرار القصص وحكمته.**

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة من التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا:

(1) التفنن بالبلاغة؛ لأن إفادة المعنى بالموجز منها بوجه أبلغ، كإفادته بصورة مطنبة من نوع الإعجاز والتحدّي.

(2) استيفاء القصة في موضع لم تستكمل فيه في الموضع الآخر.

(3) إن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة، لا يخفى ما فيه من الفصاحة.

(4) لفت الانتباه إلى العناية والاهتمام بالمعنى المراد ترسيخه في النفوس.

(5) جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليبها.

(6) التكرار من أبرز صور الإعجاز؛ لأن كل قصة كررت، حصل في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وكلها في أعلى درجات البلاغة.

(7) الإعلام بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن بأي نظم جاء أو بأي عبارة عبر[1].

**المبحث الخامس: القصة القرآنية حقيقة لا خيال..**

**المطلب الأول: مع دراسة لفكر هدام:**

في المكتبة العربية (للأسف) دراسة تحت اسم (الفن القصصي في القرآن الكريم) كانت في الأصل رسالة دكتوراه من إعداد: محمد أحمد خلف الله، أشرف عليها وقدم لها

---

(1) ينظر: البرهان، للزركشي، 3/26-27، اللألئ الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين، ص249-250 ، دار الشروق 2002م، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد، ص108، وينظر: هذه مشكلاتهم، د. البوطي، ص113-115، بتصرف، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، د. عبد الجود المحص، الدار المصرية، الاسكندرية، 2000، ص146-152، بتصرف، موسوعة القرآن العظيم، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، 2003، 831/1.

وناضل عنها الأستاذ أمين الخولي، رحمه الله، وقال في تقديم الطبعة الثالثة لها[1]: إن الدكتور خلف الله:"من الذين آمنوا.. وآمنوا بالحق.. وآمنوا بالتطور فمضوا يدرسون القرآن دراسة فنية متجددة". مستفيدين من التقدم الفني والعقلي والاجتماعي. فانتهوا بذلك إلى أن قدموا التفسير الأدبي للقرآن خطوة للأمام بعيدة الأثر.. خطوة حسبها أن تمنع ازدواج الشخصية في المتدين.. ذلك الازدواج الذي يتجلى حين يدين مثقف بالإسلام واثقا موقنا.. ثم يدرك ويقرر: أن الإسلام وكتابه القرآن يحدث عن الأشخاص والواقعات بما يشاء، ويستغلها في ترويج الدعوة الإسلامية كما يشاء.. دون أن يكون ذلك حقا ملزما للمؤمنين".

ثم يقول أمين الخولي:"إن المؤمنين بالعلم وبالتطور وبالسنن الفنية قد حلوا تلك الأزمة[2]، بأن فرقوا بين العرض الفني الأدبي وبين العرض التاريخي، والأول هو منهج القرآن في قصصه. وعلى هذا يستطيع المثقف الراقي حين يتدين أن يعتقد في تسليم مطمئن بحديث القرآن الفني في قصصه، ومع ذلك يحقق ويحلل في عمق ووضوح تاريخ هاتيك الأحداث وأشخاص أصحابها، وينفي في ذلك ويثبت مطمئنًا إلى أن هذا لن يصادم بحال ما ذلكم العرض الفني الآخر[3]".

**يتكلم خلف الله عن القصص القرآني فيقول:**"إن التاريخ ليس من مقاصد القرآن، وإن التمسك به بمقياس الصدق التاريخي في القصص القرآني" خطر أي خطر على النبي عليه السلام وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة[4]".

---

(1) طبعتها مكتبة الأنجلو المصرية عام 1965م، وكانت قد طبعت من قبل عام 1953م،ثم عام 1957م، وقدم لها وعرضها خليل عبد الكريم، في طبعة سينا للنشر /4، 1999م.

(2) يعني: التي تواجه المسلم المثقف المتدين – كما يقول.

(3) ص: د، هـ من التقديم.

(4) الفن القصصي، لخلف الله ص 42.

ويقول:"إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب الأحداث[1]".

وبعد أن يقرر هذه المقدمة السابقة القائلة بأن الصدق التاريخي لم يكن من مقاصد القرآن الكريم فيما عرض له من وقائع وقصص تاريخية؛ يرتب على هذه المقدمة نتيجة أهم وأخطر، حيث يقول:"ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل[2]. ولكن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض.

إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ. ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق. ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد. بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام".

ولما كان قد استشعر أن القارئ المسلم سيقول هنا: وما للقصص القرآني – وهو من عند الله –وما كانت تتصوره البيئة العربية وما كان في أدمغة العرب عن التاريخ؟! فإن خلف الله يقول بعد كلامه السابق مباشرة وفي أصرح عبارة:"أعتقد أنك قد فطنت إلى ما نريد تقريره من نظرية تحل مشكلات المفسرين وترد اعتراضات المستشرقين والمبشرين: وأعتقد أنك قد فطنت إلى أن هذه النظرية ليست إلا القول بأن ما في القصص القرآني من مسائل تاريخية ليست إلا الصورة الذهنية لما يعرفه المعاصرون للنبي عليه السلام من التاريخ. وما يعرفه هؤلاء، لا يلزم أن يكون هو الحق والواقع، كما لا يلزم القرآن أن يصحح هذه المسائل أو يردها إلى الحق والواقع؛ لأن القرآن الكريم كان يجيء في بيانه المعجز على ما يعتقد العرب، وتعتقد البيئة، ويعتقد المخاطبون"[3].

---

(1) المصدر السابق ص 44.

(2) يعني: التي ذكرها القصص القرآني.

(3) الفن القصصي، لخلف الله، ص 255.

إذن فنظرية خلف الله: هي أن القرآن الكريم استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية، فنزل بها، ولم يصححها أو ينص على كذبها خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار ومجاراة لمعتقدات القوم الذين نزل فيهم. وهذا هو صنيعه البلاغي المعجز وأسلوبه البياني في التعبير – كما يقرره خلف الله.

ثم يقول:"أما الآيات التي يصف القرآن فيها بعض القصص بهذه الصفة"بالحق" من مثل قوله تعالى:( **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ٦٢] وقوله تعالى:( **أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾[هود: ٢٠]– فليس فيها ما يدل دلالة قطعية على أن المقصود بهذه الصفة، إنما هي الأحداث التاريخية. بل لعل رأيا آخر هو الراجح، وهو أن هذه الصفة إنما تطلق على المقصود من هذا القصص من أمثال التوجيهات الدينية والأغراض القصصية".

**لكن، ما الأسباب التي حملته على هذا كله؟ وأين تأكد من التناقض بين قصص القرآن والواقع التاريخي، حتى يذهب هذا المذهب؟**

يقول: إن الملاحدة والمستشرقين والمبشرين وقفوا أمام مسائل من القرآن،جعلوا التاريخ مقياساً تقاس به صحة الأخبار فيها، فحاولوا بيان وجه المخالفة بين الأقاصيص القرآنية وما يعرفونه من تاريخ، ويذكر من ذلك:

1–قوله تعالى ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران: 46]، فينقل عن الرازي أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى تكلم في زمن الطفولة، ويحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر[1].

2– وفي آية:( **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ [مريم: 28]، يروي خلف الله في تفصيل ما يذكره المبشرون والمستشرقون من أن

(1) ينظر: تفسير الرازي 5 – 35 .

النبي ﷺ– بزعمهم– كان يرى أن مريم أم المسيح،كانت أخت هارون أخي موسى عليهما السلام، مع أن بينه وبينهما من الزمن ألفا وخمسمائة وسبعين سنة.

ويعلق خلف الله على ذلك كله بقوله:" هذه الأقوال –وكثير غيرها– إنما كانت؛لأن المسلمين أنفسهم قد حرصوا الحرص كله على فهم القصص القرآني على أساس من التاريخ. ولو أنهم أعرضوا عن هذا الأساس وحاولوا فهم القرآن على أساس من الفن الأدبي؛ لأغلقوا هذا الباب الذي جاءت منه الريح، ولسدوا على المشركين والمبشرين السبل، وحالوا بينهم وبين الطعن على النبي عليه السلام وفي القرآن الكريم"[1].

أما هذا (الأساس من الفن الأدبي ) فهو ما سبق أن قرره من أن القرآن استخدم الصور الذهنية والأساطير عند العرب الجاهليين استخداماً بلاغياً – كما يقول– لإثارة العواطف والانفعالات، بصرف النظر عن الصدق الواقعي.

ثم عن قوله تعالى:**( حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)** [الكهف:86]

فقال:"بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة لا تستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون"[2].

ويقول:" وبان للعقل الإسلامي أنه لا يستطيع أن يتصور مساعدة الملائكة للمسلمين في غزوتي بدر وأحد – اللهم إلا أن يكون حديث القرآن عن ذلك، حديث من يأخذ الناس بعقائدهم تقوية للروح المعنوية، وبثاً للأمل القوى بالانتصار السريع في النفوس"[3].

**.... وبعد، فهذه هي نظرية خلف الله – ومن يدافعون عنها– في القصص القرآني، ومعنى (المجاز و الأسلوب البياني) فيها.**

ومن ثم لن نعجب حين يصرح بأن في القرآن أساطير، حيث يقول:" إننا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير" ويمثل لها بقوله تعالى﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ**

---

(1) ينظر: الفن القصصي، لخلف الله، ص25–28 .

(2) المصدر السابق ص 34، وسنعود على ذلك كله بالمناقشة المفصلة فيما سيأتي إن شاء الله

(3) المصدر السابق ص 36–37 .

**بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)** ﴾[1] [البقرة: 259].

**أما الإعجاز التعبيري في القرآن الكريم فهو يقول عنه بالحرف الواحد:" لقد تقرر أن القرآن إنساني العبارة، بشري الأسلوب، جاء على سنن العرب في بلاغتها وبيانها".**

**فهل بعد ذلك كله يأتي من يقول: إن القرآن لا يفهم على هذه القواعد أو تلك الأساليب؟**

إن المسألة في القصة القرآنية هي بعينها مسائل الصور البيانية من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية...الخ، وأنها من هنا لا توصف لا بتصديق ولا بتكذيب، وإنما هي العرض الأدبي الذي يهز العاطفة ويستثير الوجدان"[2].

وفي تفسير ما قرره من بشرية الأسلوب القرآني – يقول:" القصص القرآني يمثل نفسية النبي، ويمثلها في أدق مراحلها وفي أعنف صورها". وفي سبيل تقرير ذلك يقارن بين أسلوب القرآن الكريم وما يرويه من ظروف النبي ﷺ النفسية[3].

**المطلب الثاني: نقض وتقويم:**

...هذا هو كتاب خلف الله، وهذه هي نظريته في تفسير القصص القرآني، التي بشر لها بأنها هي التي ستحل مشكلات المفسرين وترد اعتراضات المستشرقين والمبشرين، والتي قال عنها أستاذه أمين الخولي إنها قد أصبحت كسبا فنيا، ووجها من الإعجاز القرآني عند أصحاب الدين والأدب.

***أولا*: خلف الله وأصحابه تابعون لا مؤصلون في هذا:**

فتلك دعوى قديمة قالها من قبل طه حسين في كتابه **(في الشعر الجاهلي)** حين زعم أن القرآن الكريم فيما ذكره عن إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) قد استغل أسطورة اختلقها يهود شبه الجزيرة العربية لإثبات صلتهم بالعرب، فجاء القرآن الكريم

---

(1) المصدر السابق ص 80-181.

(2) الفن القصصي، لخلف الله ص 137-138 .

(3) المرجع السابق: ص305،337 .

واستخدمها لتأكيد هذه الصلة وإثبات الاتصال بين (الإسلام) و(اليهودية) وبين(القرآن) و(التوراة)، مع مخالفة ذلك كله للواقع التاريخي، ومن ثم فالقرآن – كما زعم– كان يأتي بالأساطير الشائعة المخالفة للتاريخ والواقع في أصلها، ليحقق أهدافا له من وراء ذلك، فهو لا يراعي الصدق التاريخي والاتفاق من الواقع، إنما يستخدم ما في أذهان معاصريه من أساطير ليحقق أهدافاً له من وراء ذلك[1].

ولست أدرى هل كان أمين الخولي (الذي أيد مذهب تلميذه) يعرف أن طه حسين لم يكن هو أصل هذه الدعوى، بل كان ناقلاً لها كما نقلت عنه بعد؟ وإذا صرفنا النظر في هذا عن المستشرقين الذين تلقن طه حسين عنهم، فإننا نجد كتاباً يسمى **(ذيل مقالة في الإسلام)** قد طبع بمطبعة النيل لمن سمى نفسه بـ ( هاشم العربي)، وإنما هو في حقيقته مبشر خبيث يحاول –في لؤم– تشكيك المسلمين في كتابهم (القرآن) بزعم أنه استخدم الأساطير والأكاذيب الشائعة، ومن يقارنه بكتاب طه حسين السابق، فسوف يتيقن في وضوح أن طه حسين لم يكن إلا ناقلاً عن هذا المتخفي تحت اسم ( هاشم العربي). وقد أجرى المرحوم الشيخ محمد أحمد عرفة (الوكيل الأسبق لكلية الشريعة الإسلامية بمصر )مقارنة بين نصوص من الكتابين، أثبتت ذلك بما لا يدع احتمالاً للشك فيه[2].

بل إن الزعم بأن في القرآن الكريم أساطير وأكاذيب أقدم من هذا، وكما يقول ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم 213–276هـ) في كتابه **(تأويل مشكل القرآن)**: فقد"اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم

---

(1) ينظر: ص26 من الشعر الجاهلي.

(2) ينظر: نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد عرفة، ص101 وما بعدها، وقد طبع كتاب (ذيل مقالة في الإسلام) للمرة السادسة عام 1925م، وقد طبع من قبل سنة 1891م .

والاختلاف. وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور"[1].

بل إننا لو تقدمنا مع الزمن حتى عصر التنزيل، لوجدنا أنه لم يخل من اتهام القرآن الكريم بالأسطورة والكذب المناقض للواقع، وقد روى القرآن نفسه هذا الزعم في آيات متعددة، منها: قوله تعالى:( **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6)**) [الفرقان: 4 – 6].

***ثانيا*: محاولة باطلة لارتداء ثوب الدفاع عن القرآن الكريم:**

يحاول خلف الله –ومن ناصروه– أن يزينوا لجمهور المسلمين نظريتهم السابقة في تنحية مقياس (الصدق) في النظر إلى القصص القرآني، وإبداله بمقياس (الفن الأدبي) الذي يبيح –كما قالوا– استخدام الأساطير والأكاذيب والصور الذهنية عند العرب الجاهليين، بحجة أن ذلك هو الذي يعفي القرآن من أن ينظر إليه المستشرقون والمبشرون بمقياس (الصدق) مع التاريخ، ومع الواقع الكوني والطبيعي، فينفتح لهم – كما قال– باب للطعن في صحته، لعدم اتفاقه مع التاريخ أو الواقع.

فهذه صورة مضحكة إذن للمدافع، حين يبدأ دفاعه بالتسليم بارتكاب الجرم، مع أن من يدافع عنه بريء، ناصع البراءة، كما سيتبين لنا إن شاء الله.

ثم إننا حين نأتي إلى العلل والأسباب التي ذكروها في (تبرير) تسليمهم باشتمال القرآن الكريم على أكاذيب وأساطير – فسنجد أنها علل متهافتة تؤيد– فيما تنتهي إليه ضمنيًا– القائلين بأن القرآن الكريم من كلام محمد ﷺ ، إذ لا يستقيم معها بحال، القول، بأن القرآن الكريم كلام الله القادر العالم بكل شيء؛ لأن هؤلاء يقولون: إن القرآن استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت تعرفها البيئة العربية وقت نزوله، تحقيقاً لعنصر التأثير في نفوس المعاصرين وتمكيناً للإيمان به في قلوبهم. فهل يستقيم مع هذا القول أن يكون القرآن قد نزل من عند الله ذي القدرة المطلقة التي لا يحدها حد؟

---

(1) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص17 وقد ألفه ابن قتيبة لنقض شبههم، وينظر أيضا: الأنفال 31، النحل 24، المؤمنون 83، النمل 68، الأحقاف 17، القلم 15، المطففين 13 .

من الواضح أن الأمرين لا يتوافقان أبداً؛لأن الله تعالى – هو الحق القادر– أعظم من أن يلجأ في كتابه المنزل، الذي أنزله لهداية الخلق جميعاً– إلى استخدام الباطل والأكاذيب ليجتذب بها العرب من معاصري نزوله إلى الإيمان، وهو يعلم أن هذا الكتاب سيؤمن به غيرهم في أزمنة وأمكنة أخرى.

**وهل يصح مثل هذا القول إلا بناء على عقيدة ترى أن الإسلام (دين محلي) نزل إلى عرب شبه الجزيرة في القرن السابع الميلادي، واجتذبهم إلى الإيمان بموافقته، لما كان عندهم من أوهام وخيالات وأباطيل تخالف التاريخ الحق؟**

وهل يعقل أن الله تعالى لم يعلم حال من سيؤمن بالقرآن من غير هؤلاء، ممن تتكشف لهم حقيقة هذه (الأوهام)، كما زعم أصحاب هذه النظرية؟!

وألا يقودنا القول بذلك إلى سؤال بالغ الأهمية هو: كيف يلجأ الخالق–جل وعلا عما يقولون– إلى موافقة خيالات وأوهام العرب الجاهليين وقت نزوله، وهو القادر – بطريق القطع– على أن يصوغ كتابه المنزل من الحقائق المتفقة مع الواقع والتاريخ، التي تحدث أثرها من الموعظة والعبرة في نفس الوقت؟

...وهكذا نرى أن القول بالنظرية السابقة لا يستقيم أبداً مع الإيمان بأن القرآن (وحي إلهي)، إنما هو يستقيم، فحسب مع عقيدة ترى أنه بشري الطابع والأسلوب.

فالقرآن عند خلف الله وأصحابه"بشري الأسلوب، إنساني العبارة" لا يعنى في قصصه بالحق أو الوا قع، إنما يعنى فحسب بالتأثير في نفوس معاصري نزوله من العرب بموافقته لما عندهم من أوهام وخيالات باطلة، وصياغتها لهم في أسلوب مؤثر جذاب ! فهل يتفق هذا في شيء مع عقيدة أن القرآن الكريم إلهي التنزيل، نزل بالحق"؟[1].

---

(1) لإلقاء مزيد من الضوء على الزعم الاستشراقي التبشيري، القائل ببشرية القرآن الكريم، وأصداء هذا الزعم في بلادنا الإسلامية، راجع كتاب (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) للدكتور محمد البهي، ص225–248 حيث عرض فيه للمقارنة بين كتابي (المذهب المحمدي) للمستشرق الإنجليزي جب، و( في الشعر الجاهلي) لطه حسين – الذي سبق أن عرضنا له – والأول يعبر عن فكرة (بشرية القرآن) بأنه كان انطباعا في نفس محمد ρ، أما الثاني فيقول أنه كان تعبيرا عن الحياة التي عاشها .

لكن الأمور بحمد الله– تجري على غير ذلك، فما يباح لإنسان أن يقول في آيات نفى الافتراء والوصف بالحق، ما قاله خلف الله إلا بدليل من النص ومستند من أساليب البيان، وليس هناك –إطلاقاً– مثل هذا الدليل أو المستند الذي يبيح لخلف الله وأمثاله شيئاً من ذلك.

**ولنستعرض هذه الآيات القرآنية لنرى ذلك في وضوح لا شبهة فيه:**

يقول تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** [فصلت:41 – 42]. فإذا كان المضمون التاريخي في القصص القرآني –كما يزعم خلف الله وأصحابه– باطل في الحقيقة ونفس الأمر (وإن كان مطابقاً لما في نفوس المشركين أو غيرهم) ألا يكون معارضاً معارضة صريحة لمضمون هذه الآية، التي تنفي إمكان أن يتقحم الباطل إليه من بين يديه أو من خلفه؟

وما قولهم في وصف القرآن –بما فيه من قصص– بأنه(الحق) في قوله تعالى **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** [البقرة: 119]، وقوله :**(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ)** [آل عمران: 62]، وقوله:( **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)** [الأنعام: 57] وقوله( **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ)** [الكهف:13] وقوله( **نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [القصص: 3]، وقوله( **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)** [فاطر: 31 ]، وقوله﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾[محمد: 2 ]؟

فقد أثبتت هذه الآيات كلها –وأمثالها في القرآن كثير– أن القرآن كله حق، نزل من عند الله، وآياته كلها حق، وقصصه كلها حق؛ لأن الله تعالى لا يقص إلا الحق، وهو يقص علينا نبأ أهل الكهف بالحق، ونبأ موسى وفرعون بالحق، وكل ما قصه وأوحى به، فهو الحق؛ لأن الله تعالى لا يقول إلا الحق، وهو يهدي السبيل، ووحيه كله حق، وكتابه كله حق، لا يصل إليه الباطل والافتراء والكذب بأية وجه من الوجوه. وهل إذا لحق الافتراء هذه الأمور – كما يزعمون– يصح إطلاق وصف (الحق) في الآيات السابقة؟ وهل استخلاص العبرة ينافي أن يكون القصص المستخلص منه حقا؟

**لقد أجابت عن هذا الزعم الباطل آخر آية في سورة يوسف وهي قوله تعالى:( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111))** [يوسف:111]، فالعبرة المستخلصة من القصص القرآني إنما تستخلص من قصص حق، لا افتراء فيه ولا أسطورة.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى:( **فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)** [يونس: 32] فإذا كان كل ما في القرآن قد وصف بأنه (هو الحق ) فهل يستقيم بعد هذا أن يتضمن شيئا ينسب إلى باطل، أو ضلال بمخالفته لحقيقة التاريخ أو الحقائق الكونية؟

**وخلاصة القول في هذا:** أن الله تعالى قد وصف وحيه المنزل في القرآن، بأنه حق مطلق، لا شبهة لباطل في شيء منه بحال.

والذي جرّ خلف الله إلى مصادمة النصوص القرآنية، القطعية الدلالة –بما زعمه من تخصيص وتأويل –إنما هو وهمه أن في القرآن آيات تناقض الواقع التاريخي أو الكوني.

**ثالثا: خلف الله وأصحابه يضاهئون بعض المستشرقين فيما بنوه على بعض ما في كتبهم المقدسة.**

لما كان ما عند غير المسلمين من النصوص المقدسة قد أصابه التحريف، فإن علماءهم قد وجدوا أن في هذه النصوص ما يخالف بعض ما أتى به العلم والمعرفة الحديثة بعامة، فحاول بعضهم، أن يعللوا لهذا الاختلاف بتعليلات متعددة، تبقي على جوهر الإيمان بها في مجموعها، مع وجود هذه المخالفة، وقد وجدوا لتعليلاتهم هذه مخرجاً –أو شبه مخرج– فيما هو متفق عليه بينهم، من أن نصوص ما يسمونه (التوراة) و(الأناجيل) قد كتبتها أيد بشرية، هي التي صاغت ألفاظها ونصوصها؛ لأن الوحي عندهم إشراف على المعنى والروح، وليس وحياً باللفظ والنص[1].

(1) ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر .

وكان من ضمن ما قالوه في تعليل هذه المخالفة، أن كتّاب الوحي لكتبهم المقدسة،عبروا عن الأفكار الموحى بها (وهي ما يسمونه المادة الدينية) في قوالب وصياغات لفظية، انبعثت عن المفاهيم والأفكار التي كانت سائدة في عصورهم عن الكون والطبيعة والتاريخ –وهذه الأخيرة هي التي بيّن العلم الحديث عدم دقتها أو عدم صحتها– ومن ثم نراهم يقسمون (الوحي الديني) إلى قسمين:

أ – الجوهر الموحى به، وهذا صحيح خالد؛ لأنه لا يعرض لشيء إلا الأفكار الدينية الخالصة، وهي مما هو وراء الطبيعة لا يتعرض من حيث الواقع الكوني والتاريخي لشيء من التكذيب؛ لأنه لا يعرض لأمورهما.

ب – القوالب والصياغات اللفظية لهذا الجوهر الموحى به: وهي التي يعرض لها التناقض والمخالفة مع مقررات العلم الحديث؛ لأنها صدرت أصلا عن مفاهيم وأفكار عصورها. لكن التناقض والمخالفة لا تندرج على العنصر الأول المقصود أصلا (وهو الجوهر الديني الموحى به)؛لأنه هو وحده الذي يعبر عن مضمون الوحي.

فالذي يؤمن عندهم من العلماء، يؤمن بالعنصر الأول مع مخالفة العنصر الثاني لمكتشفات العلم والتاريخ الحديث؛ لأن هذا العنصر الثاني، إنما هو أثر للصياغة البشرية، وليس هو –عندهم– مما أوحى به.

ولم يكتف بعضهم بذلك –فيما يتصل بكتابه المقدس– بل حاول أن يطبق هذه الوجهة على نصوص القرآن الكريم أيضاً، بتقسيمها إلى نفس العنصرين السابقين، والزعم بأنّ فيها –كما في كتبهم المقدسة– ما يخالف حقائق التاريخ أو الواقع الكوني.

ولم تكن"نظرية" خلف الله التي نعرض لها في القصص القرآني إلا مضاهاة –إن لم تكن نقلاً– لهذه المحاولة الاستشراقية التي صدرت عن قوم، عز عليهم أن يسلموا بأنّ في كتبهم المقدسة ما يتناقض مع حقائق التاريخ والطبيعة، ثم يسام كتاب المسلمين (القرآن الكريم) من ذلك، فحاولوا أن يطبقوا عليه ما وجدوه في كتبهم بالاستناد إلى حجج واستدلالات – باطلة فيما يتصل بالقرآن الكريم– وأذاعوا ذلك بين بعض من يستمع لهم، ويأخذ عنهم من أبناء المسلمين، فكان ما كان من هذه الدعوى التي نعرض لها أصلاً في هذا المبحث !

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال كما عند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟[1].

لكن هؤلاء جميعاً، قد فاتهم أن القرآن الكريم لا يقاس على ما عند اليهود والنصارى –الآن– مما يسمونه (التوراة) و (الأناجيل)؛ لأنه قد ثبت التحريف والتبديل فيما أوحي به إلى موسى وعيسى،عليهما السلام، كما قال تعالى عن بني إسرائيل ثم عن الذين قالوا إنا نصارى :**(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14))** المائدة: 13-14]، ومن ثم عقب الله تعالى على ذلك، بأن وجه إليهم النداء :**(يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)) [المائدة: 15 –16].**

فقياس القرآن على ما عند اليهود والنصارى –فيما يتصل بهذا الاختلاف– غير صحيح، وأيضا، فإنّ ما حاول أصحاب هذه الدعوى أن يقيموا عليه دعواهم بالنسبة للقرآن الكريم باطل بصورة مطلقة.

وبعد هذا كله، فإننا نقدم في السطور التالية الرد المفصل على ما حاول خلف الله،أن يقيم فيه تناقضات بين آيات من القرآن الكريم وحقائق التاريخ أو الكون، ليتبين لنا –إن شاء الله– أن أوهامه في هذا لا تقل عن أوهام غيره الذين يشاركونه في جوهر الدعوى.

**1– أما ما يتصل بقوله تعالى عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام :( وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا**

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 169/4، ح3456.

**وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)** [آل عمران:46]، حيث يشير إلى ما رواه الرازي من أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى تكلم في زمن الطفولة، ويحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر.

فالحق أن الرازي روى ذلك، ثم قال:"أجاب المتكلمون عن هذه الشبهة وقالوا: إن كلام عيسى عليه السلام في المهد، إنما كان للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام، من الفاحشة، وكان الحاضرون جمعا قليلين، فالسامعون لذلك الكلام كان جمعا قليلا، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الإخفاء"[1].

وإذن فإن الرازي لم يترك هذه الشبهة دون رد، وبالتالي لم يكن من الذين يقولون بها على سبيل الإيمان أو الاقتناع.

**أما فيما يتصل بالتواريخ البشرية**، فمما لا شك فيه أنها أهملت تسجيل كثير من الأحداث الفردية – مهما تكن أهميتها في ذاتها – حيث لم يتوافر لها من الشهادة الصادقة وتوفر سبل الإذاعة، والنقل، والبقاء على مرّ العصور ما يكفل لها ذلك.

وقد تلعب يد التحريف والتجهيل والتعمية ببعض جوانب واقعة صحيحة في أصلها، فإذا بها قد جمعت في نهاية الأمر بين الحق والباطل في قصة واحدة.

هذا معروف مسجل عن (أوهام التواريخ وأخطائها)، فهي تهمل وتنسى وتحرف، وتخدع وتتوهم، وكل هذا يتضمنه ما يسمى بـ (التاريخ البشري)، بخاصة في عصور ما قبل التدوين المنظم، ذي الأساليب والإمكانات المنضبطة شيئا ما.

وإذ كان هذا ثابتا لا شك فيه، فهل يقبل منطق البحث العلمي النزيه، أن يتخذ إغفال التواريخ القديمة لحادثة فردية مثل كلام طفل في المهد دليلا قاطعا على كذب الوحي في إخباره بها؟

أما عدم وجود ذكر لهذه الواقعة فيما عند اليهود والنصارى من كتب مقدسة، فلا يقوم هو الآخر دليلا يطعن في صحة ما جاء به القرآن من ذلك؛ لأن فيما في هذه الكتب المقدسة عندهم ما ثبت قطعا أنه مخالف للحق، ونضيف إليه أن المعقول المتفق مع طبائع الأمور، ألا يرد في التوراة المحرفة عند اليهود شيء عن واقعة كلام عيسى عليه السلام في المهد.

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي، 8/55-56.

أما ما عند النصارى من الأناجيل، فمن الثابت أنها لم تدون وقت ما سجلته من أحداث، بل بعد ذلك، وأيضا فمن المعلوم أن الأناجيل الأربعة التي أقرتها الكنيسة، قد تضمنت أمورا وعقائد، كذبهم فيها القرآن الكريم، وعليها تقوم الديانة النصرانية – بعد ما بدل دين المسيح الحقيقي – مثل تجسد الإله، وتثليث الآلهة، وصلب المسيح عليه السلام فداء للبشر.. وإذ كان الأمر كذلك، فما المانع عقلا أو عادة من أن تكون الأناجيل النصرانية المعتمدة، قد تناولت الوقائع المتصلة بالمسيح عليه السلام بالزيادة والحذف والتبديل والتحريف؟ بل إن هذا هو الذي حدث فعلا.

2- **وأما ما يتصل بقوله تعالى:( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾**[غافر: 36]، فخلف الله يشير إلى ما رواه الرازي من قول اليهود: أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون أن هامان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما بزمن مديد.

**والحق أن الرازي نقل هذه الشبهة ثم قال:**"والجواب: أن تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها، واضطربت الأحوال والأدوار، فلم يبق على كلام أهل التاريخ اعتماد في هذا الباب، فكان الأخذ بقول الله أولى".ويقول الرازي:" وقد كان المعترض قال: إن هذا كما لو قال أحد: إن أبا حنيفة كان موجودا في زمان النبي ﷺ، ويرد الرازي بقوله:"بخلاف حال رسولنا مع أبي حنيفة، فإنّ هذه التواريخ قريبة غير مضطربة، هي مضبوطة، فظهر الفرق بين البابين"[1].

ونضيف إلى ذلك أنه قد ورد ذكر (هامان) في القرآن الكريم ست مرات، منها ثلاث في سورة القصص(الآيات 6، 8، 38)، وواحدة في سورة العنكبوت (الآية 39)، واثنتان في سورة غافر (الآيتان 24، 36]، وكلها تدل على أنه كان من معاوني فرعون، الذي بعث موسى عليه السلام في عصره،:**( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)** [القصص:38] فماذا في ذلك كله يمكن أن يتخذ دليلا على مخالفة القرآن للتاريخ

(1) مفاتيح الغيب، للرازي 66/27.

إن طعن اليهود ومن وافقهم، لا يقوم في شيء كدليل أو ما يشبه الدليل؛ لأن بحوثا متعددة قد أثبتت أن فيما عندهم تخليطا وأخطاء، فإذا تحاكمنا إلى التاريخ العام، فإننا نعرف أن (فرعون موسى) – من بين فراعنة مصر – ليس معروفا للمؤرخين بصورة قطعية متفق عليها[1].

والقرآن الكريم لم يذكر اسمه، والأقوال في تحديده عند المؤرخين متعددة، تعتمد على بعض الشواهد من النصوص والآثار، لا على علم يقيني قاطع حاسم، لا محل معه لخلاف أو اجتهاد. وإذا كان الأمر كذلك، فإن تحديد وزرائه ومعاونيه بالاستقصاء والحصر، أمر لا يمكن أن يدعيه – على سبيل القطع – مؤرخ يحترم عقله وعقول الناس، وفي مثل هذه الظروف: هل يستطيع إنسان ما أن يكذب الوحي القرآني اعتمادا على أقوال ومزاعم متناثرة، ليس لها أي مستند يقيني، فيزعم أنه خالف التاريخ في هذا؟

3- **أما فيما يتصل بما ذكره خلف الله من أن قوله تعالى:( يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)** [مريم: 28]، يهيئ للمستشرقين والمبشرين الطاعنين – إذا قسناه بمقياس الصدق التاريخي – أن يطعنوا في موافقة هذا للحقيقة التاريخية[2] – فليس فيما ذكرته آيات القرآن الكريم مما يتصل بذلك أدنى مخالفة لأية حقيقة.

وقد بيّن المفسرون الإسلاميون المحققون ذلك في صورة جلية، لا تحتمل أدنى لبس، وفي مقدمة هؤلاء: الفخر الرازي، الذي أكثر خلف الله من الرجوع إليه.

إذ أن هذه الفرية تؤدي إلى القول بأن موسى كان خالا لعيسى عليهما السلام، وأنه لم يفرق بين رسالتيهما إلا سنوات قليلة بحكم هذه الصلة المباشرة، لكن الذي يستعرض آيات القرآن الكريم يأخذ منها بغاية من الوضوح، أنه كان بينهما مئات السنين، وعدد من أنبياء بني إسرائيل، كما جاء في قوله تعالى:**( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾**

---

(1) راجع مثلا: قصة الحضارة لول ديورانت 324/1.

(2) راجع تفصيل قول خلف الله وما استشهد به في هذه القضية فيما سبق من عرض (نظريته).

[البقرة/ 87] وقوله تعالى :(**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47))**. [المائدة: 44-47].

وقوله تعالى: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27)**) [الحديد: 26-27]، وليس في القرآن الكريم كله، ولا في سنة النبي ﷺ، ولا في شيء من معتقدات المسلمين، أن موسى كان خالا مباشرا لعيسى عليهما السلام، أو أن بينهما أقل من مئات السنين، وهذا في ذاته يكفي لإبطال هذا الطعن.

أما ما استند عليه أصحابه من مناداة مريم في القرآن الكريم بيا (أخت هارون) فليس فيه عند التحقيق ما يبرر هذا الطعن، وقد تناوله المفسرون بالشرح فقالوا: إن هذا النداء محمول على واحد من أربعة وجوه كلها مقبول معقول[1]:

---

(1) قال ابن حجر في (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، للزمخشري) في قول الزمخشري: إنما عنوا هارون النَّبي ما نصه: لم أجده هكذا إلا عند الثعلبي بغير سند، ورواه الطبري عن السدي قوله وليس بصحيح. فإن عند مسلم والنسائي والترمذي عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني النَّبي ρ إلى نجران فقالوا لي: أرأيتم شيئًا تقرؤون ( يا أخت هارون) وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أدر ما أجيبهم؟ فقال لي النَّبيρ: هلا أخبرتهم أنهم

**الأول:** أن هارون هذا كان رجلا صالحا من بني اسرائيل، ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمراد: أنك كنت في الزهد والتقوى كهارون – فكيف صرت هكذا؟

**والثاني:** أن هارون هذا هو أخو موسى عليه السلام، لما روى عن النبي ﷺ: إنما عنوا هارون النبي، وكانت من أعقابه. وإنما قيل: أخت هارون، كما يقال: يا أخا همدان، أي: يا واحدا منهم.

**والثالث:** أنه كان رجلا معلنا بالفسق فشبهت به.

**والرابع:** كان لها أخ يسمى هارون من صلحاء بني إسرائيل والكلام على حقيقته.

والرازي يختار القول الرابع[1]، ويبدو أنه لم تصح عنده رواية حديث النبي ﷺ في ذلك. **لكننا لا نختار القول الرابع،** بل نرى أن النداء في (يا أخت هارون) قد جرى مجرى التعبير في آيات عديدة في القرآن الكريم بلفظ الأخوة، دون أن يكون المراد هو أخوة النسب الحقيقية، خاصة، بل المراد هو الانتساب في الجملة إلى قوم أو جماعة ما، كما ورد في قوله تعالى: **(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [الأعراف: 65]، وقوله تعالى : وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) ) (الأعراف: 73]**

**وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**

---

كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين من قبلهم. وروى الطبري من طريق ابن سرين: نبئت أن كعبًا قال: إن قوله تعالى ( يا أخت هَارُونَ) ليس بهارون أخي موسى، فقالت عائشة: كذبت؟ فقال لها: يا أم المؤمنين، إن كان النَّبي ρ قال فهو أعلم، وإلا فأنا أجد بينهم ستمائة سنة– انتهى كلام ابن حجر. ينظر: تفسير ابن كثير 200/5، كشف المشكل لابن الجوزي 92/4، أضواء البيان 415/3، زاد المعاد 563/3، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 68/6، صحيح مسلم، كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، 171/6،ح2135.

(1) ينظر: تفسيره 207/21–208.

**(178)) [البقرة: 178]، وقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: 10]، وقوله:( قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: 38].**

فالحاصل من ذلك كله أن القرآن الكريم كثيرا ما يستخدم لفظ الأخوة، مريدا به مطلق الانتساب في الجملة بالنظر إلى أمر رابط، ويكون ذلك مفهوما من السياق بوضوح، دون أن يكون المقصود هو أخوة النسب[1] الخاصة، وقد كان هذا عند قوم مريم، مما نجد مثيلا له عند العرب في قولهم: يا أخا العرب، يا أخا قريش، يا أخا هذيل، يا أخا همدان.. فما العجيب إذن في أن يجري النداء في (يا أخت هارون) على هذا النحو المألوف؟ وكيف يجر إلى هذه الأباطيل التي يرددها المبشرون وأشياعهم؟

وإذا كان هذا قد غاب عن المستشرقين الذي يجهلون أساليب البيان العربية – أو الذين يلتحقون بسوء المقصد دائما – فكيف غاب عن مسلم، يزعم أنه من مدرسة التفسير البياني القرآنية، ويطيل الحديث عن الأساليب البلاغية في القرآن الكريم؟!

4- **أما ما يذكره خلف الله حول قوله تعالى:( حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾**[الكهف: 86]، من قوله:"بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة لا تستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون"؛ فما هو **(العقل الإسلامي)** الذي يتكلم عنه خلف الله؟

أغلب الظن أنه هو **(العقل الإسلامي)** الذي تحدث عنه الدكتور طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حين قال: إن الكاتب الفرنسي"بول فاليري" أراد يوما أن يشخص العقل الأوربي، فرده إلى عناصر ثلاثة: حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة

(1) التي أتت فيها آيات أخرى مثل آيات سورة النساء (12، 23، 176) في الميراث والنكاح. والسياق يحدد في غاية من الوضوح معنى (الأخوة) المقصود في كل آية.

إلى الخير وحث على الإحسان، فلو أردنا أن نحلل العقل الإسلامي في مصر وفي الشرق القريب، أفتراه ينحل إلى شيء آخر غير هذه العناصر التي انتهي إليها تحليل بول فاليري؟

وبعد أن يفصل القول في ذلك ينتهي إلى قوله:"وإذن فمهما نبحث ومهما نستقصى، فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل الأوربي والعقل المصري فرقا جوهريا"[1].

لكن هذا **(العقل الإسلامي)** الذي يتحدث الرجلان عنه ليس هو – على سبيل القطع – ما نعرفه ونعايشه من عقل إسلامي مرتكز على ما جاء به (القرآن الكريم) و (السنة الصحيحة) ولم يثبت له إطلاقا أن في شيء منهما ما يخالف حقائق الكون أو التاريخ.

وفيما يتصل بالآية التي ذكرها خلف الله، فإن التعبير القرآني بالغ الدقة والصدق في تصوير ما يعبر عنه، بحيث لو تغير هذا التعبير – فرضا – لما كان مطابقا لحقيقة ما يعبر عنه.

وواضح غاية الوضوح من النص القرآني، أنه يعبر هنا عما وجده وظهر لذي القرنين – المحدود المعرفة بنطاق البشرية عندئذ – ألا نراه يقول:**( حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)**﴾[الكهف: ٨٦] أي وجد عند هذه العين الحمئة، التي ظهرت له الشمس غاربة فيها – قوما، حيث يعود الضمير في (عندها) إلى أقرب مذكور وهو العين الحمئة.

فالتعبير القرآني المحكم المعجز يقول (وجدها تغرب)، ولم يقل إنها تغرب، حتى يكون هذا تعبيرا عن الحقيقة الكونية المطلقة. ومما يقطع – فيما أرى – بإعجاز القرآن الكريم وصدقه المطلق، أن الله تعالى عقب على ما (وجده) ذو القرنين في جهة مغرب الشمس ومطلعها بقوله تعالى: **(كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا)** [الكهف: ٩١] أي – والله تعالى أعلم – كذلك ظهرت له الأمور حسب علمه البشري القاصر، الذي لا

---

(1) مستقبل الثقافة في مصر، لطه حسين ص29–30.

إحاطة فيه بحقائق الأمور وكنهها في ذاتها، وقد أحطنا نحن علما بكل ما وجده ذو القرنين وظهر له؛ لأن علمنا هو العلم الشامل المحيط بكل شيء بإطلاق.

أما محاولة خلف الله أن يخلط بين (ما حكاه القرآن عن أقوال البشر وتصوراتهم في مواقف معينة) و (ما هو من تقرير الله تعالى لحقائق مطلقة)، فيقول إن (كل) ما ورد في القرآن من قصص – محمول على النوع الأول وحده – فهو ما ترفضه النصوص القرآنية في غاية من الوضوح.

ونضيف إليه أيضا، أن من يراجع صيغة (وجد) في القرآن الكريم، حين تنسب إلى البشر فسيدرك ما قررناه في جلاء، ولن نذهب بعيدا، بل إننا لن نجاوز سورة الكهف نفسها مثار اعتراض خلف الله على النص السابق.. فانظر إلى قوله تعالى فيها عن أحد الرجلين صاحب الجنتين الذي دخل جنته وهو ظالم لنفسه قال:﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**﴾ [الكهف: 35-36]، فهل قوله (لأجدن) حكاية عن الحقيقة المطلقة، أم تعبير عن أفكاره وأمانيه الباطلة هو؟.

وانظر أيضا إلى قوله تعالى في نفس السورة، حكاية عن قول موسى حينما لقي الخضر (عليهما السلام) فقال له الخضر: إنك لن تستطيع معي صبرا، فقال موسى مصورا لما يعتقده في حال صحبته مع الخضر:﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: 69]، فهل هذا القول تعبير عن عقيدة موسى، فيما يكون من أمر مستقبل الصحبة– ولا يعلم الغيب المستقبل إلا الله– أم هو تعبير عن حقيقة المستقبل المطلقة، كما ظهرت بعد ذلك من تطور أمر الصحبة؟ إنّ الجواب الواضح في الآيات التالية لقول موسى عليه السلام (ستجدني).

.. هذا هو الشأن إذن بقوله تعالى حكاية عما وجده ذو القرنين عند مغرب الشمس ومطلعها، فأين عدم الاستقامة المزعومة من خلف الله في ذلك كله[1].

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي،21/166–167، ويرفض الرازي في تعليل علمي سليم ما يقال من أن ما رآه ذو القرنين كان هو الحقيقة الكونية، معللا رفضه باختلاف موضع الشمس بحسب المواضع على الأرض، وكما يفسر بقية الآيات في وضوح وإحكام عام (ص168) وإذن فإن ما يذكره خلف الله عن حيرة (العقل الإسلامي) في ذلك لا يتفق مع ما عند المفسرين المحققين.

5- ومثل هذا تماما ما يذكره خلف الله من أنه"بان العقل الإسلامي أنه لا يستطيع أن يتصور مساعدة الملائكة للمسلمين في غزوتي بدر وأحد. اللهم إلا أن يكون حديث القرآن عن ذلك حديث من يأخذ الناس بعقائدهم، تقوية للروح المعنوية وبثا للأمل القوي بالانتصار السريع في النفوس[1].

و(العقل الإسلامي) حقا لم يبن له شيء من ذلك إطلاقا؛ لأنه يؤمن بالله وكلماته على أنها الحق الذي لا باطل فيه، وقد قرئت هذه الآيات، التي يشير إليها خلف الله على جمع المؤمنين الذين شهدوا الغزوتين، فما زادتهم إلا إيمانا ويقينا في صدق ما أخبر به ربهم، وصدق الله تعالى:( **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الإسراء: 82].

فتثبيت الملائكة – بإذن الله – للمسلمين ثابت بالنص البين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ( **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**) [الأنفال: 12]، وقوله تعالى:( **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) [آل عمران: 124-126].

ولست أدري ما هو المستند العقلي أو العلمي في تكذيب خبر متصل بالملائكة، وهم في تفصيلات أمورهم من عالم الغيب؟ وهل يعجز العقل الإسلامي المصدق بالوحي حقا عن تصور تثبيت الملائكة للمسلمين، أو تصديق ذلك؟

اعتقد أن (العقل المادي) هو الذي يعجزه التصديق بغير المحسوس الملموس، أما العقل (الإسلامي) المصدق بكل ما أخبر الله به من غيب؛ لأنه يؤمن بصدق القرآن الكريم في جملته وتفصيله – فإنه يؤمن بالملائكة والجن والبعث وسائر الغيبيات؛ لأنه – كما وصفه ربه تعالى – (يؤمن بالغيب).

---

(1) الفن القصصي، لخلف الله، ص37.

إن القصص القرآني كلام الله عز وجل، بالحق نزل، وليس في شيء منه إلا الحق المطلق، وافق ما عند الناس من أهل الكتاب أو العرب، أو خالفهم؛ لأنه لا يقاس صدق شيء منه على ما عندهم أو عند غيرهم من علم بشري قاصر، يدخله الخطأ والوهم، حسبما سبق.

**المبحث السادس: ما يستفاد من دراسة القصص القرآني :**

إن للقصص القرآني منهجا تربويا متكاملا ومتناسقا مع منهج القرآن ؛ ذلك أن القرآن بقصصه ومواعظه وتوجيهاته وحدة متناسقة.

كما أن القرآن يستخدم قصصه لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي ، مثل: تربية الروح والعقل والجسد، والتربية بالقدوة ،وبالموعظة،كما أن القصص القرآني يربي الإنسان ،تربية خلقية واجتماعية وجمالية .

ولقد جاء القرآن بقصص تربوية ذات أثر في علاقات الإنسان الخلقية والوجدانية ؛ ذلك مع جمال الأسلوب وبلاغة المعنى .

والقصة القرآنية وسيلة مهمة للتعلم والإرشاد والتشريع ،ولها دور فاعل في بناء الفرد والمجتمع.

ومن خلال القصص القرآني يمكن تثبيت الأخلاق ، وذلك بغرس القيم وإرساء دعائم الإسلام .

والدارس للقصص القرآني يدرك الدور الفاعل الذي وظفته القصة في تربية العقيدة وتثبيتها ؛إذ ليس الغاية من التربية سوى العواطف الصالحة ،ولا تصبح العواطف أساسا للخلق الكريم، إلا إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة ،وهكذا تتعمق العقيدة والأخلاق والقيم الإسلامية في النفوس ،في الوقت الذي تتطهر فيه النفوس من المعتقدات والأخلاق والقيم الجاهلية الفاسدة ،وذلك من خلال القصص القرآني .

وإذا كان الهدف الأسمى من التربية الإسلامية هو تكوين الإنسان المتكامل الشخصية ، فإن القصص القرآني يهدف إلى إثبات وحدة الإله ،ووحدة وسائل الدعوة وطرقها ووحدة أساليب التربية والتعلم ،ووحدة المصير .

**أسئلة للمناقشة:**

- ما معنى القصص؟
- ما أنواع القصص في القرآن الكريم؟
- وضح أهداف قصص الأنبياء.
- بيّن فوائد القصص القرآني.
- ما الحكمة من تكرار القصص في القرآن؟
- هل القصة القرآنية حقيقة أم خيال.. ؟

## الفصل السابع: المثل في القرآن الكريم[1].

في عرضنا لمثل القرآن[2]، وقسمه، وجدله، سنحرص على الإيجاز في هذا التناول بالقدر الذي يسمح بإعطاء ملامح الصورة العامة لكل منها[3].

**المثل:**

ورد في كتاب الله العزيز – في أكثر من آية – أنه سبحانه وتعالى يضرب الأمثال، في مثل قوله تعالى:( **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: 21] وقوله تعالى:( **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**) [العنكبوت: 43] ، وقوله﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [الزمر: 27].

قال الماوردي: من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه؛ لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام.

وقد عده الإمام الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته[4].

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرًا ووعظًا، فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام[5].

---

(1) لقد تناول الأمثال، وكتب فيها جهابذة الأدباء والحكماء والبلاغيين والمفسرين، مثل: الأصمعي وأبي عبيد، القاسم بن سلام، والمفضل الضبي، والزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، والزرقاني في مناهل العرفان، .

2 )الفصل اعداد الأستاذ الدكتور محمد حسن الخولى من كتاب دراسات في علوم القرآن

(3) ينظر دراسات في علوم القرآن: د. عبد الخالق محمود، ص75–115، الإتقان، للسيوطي، 167/2.

(4) الإتقان، للسيوطي، 131/2.

(5) المصدر السابق. وتنظر الآيات 17–20، من سورة البقرة.

وكما عنى العلماء بأمثال القرآن، فإنهم عنوا كذلك بالأمثال النبوية. وعقد لها أبو عيسى الترمذي بابا في جامعه، أورد فيه ستة عشر حديثا[1].

**المبحث الأول: تعريف المثل:**

الأمثال: جمع مثل، والمثل والمثيل، كالشبه والشبيه لفظا ومعنى، وسمى"المثل"؛ لأنه ماثل بخاطر الإنسان، أي: شاخص يتأسى به ويتعظ، ويخشى ويرجى[2].

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات، كقوله تعالى: **(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)** [محمد: 15][3]، أي: قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

وأشار الزمخشري إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال:"والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضروبه بمورده، ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه – ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة[4].

---

(1) سنن الترمذي، أبواب عن رسول الله ρ، 539/4، وينظر: الإتقان، للسيوطي،، 131/2. وقال القاضي أبو بكر بن العربي –رحمه الله تبارك وتعالى– مشيدًا بفعل الترمذي هذا، فقال: "لم أرَ من أهل الحديث من صنَّفَ فأفردَ للأمثال بابًا غير أبي عيسى، ولله دَرُّه، لقد فتح بابًا، وبنى قصرًا أو دارًا، ولكنه اختطَّ خطًّا صغيرًا فنحن نقنع به، ونشكره عليه".

(2) الإتقان، للسيوطي، 167/2، 168، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان ص138، وينظر: الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، ص27.

(3) ينظر: جامع البيان للطبري،84/14.

4- ينظر: الكشاف، للزمخشري، 149/1.

وهناك معنى رابع، ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل، فهو عندهم: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة، متى فشي استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية. كقولك للمتردد في فعل أمر:"ما لي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"[1].

وقيل في ضابط المثل كذلك: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسيه روعة وجمالا، والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له موردا، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا.

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن التي يذكرها المؤلفون، وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أم بطريق التشبيه الصريح، أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه، فإنّ الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل.

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال؛ إذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة، وما لم يفش استعماله.

ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن. **فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا**[2].

---

(1) ينظر: نقد النثر لقدامة بن جعفر، 73، أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ص82.

(2) وكان الشيخ محمود شلتوت، يرى أن الأمثال المضروبة في القرآن الكريم لمجرد التمثيل المطلق، يجوز للمؤمن أن يعتقد أنها تقريب من الله وتمثيل، لكنه كان يرى أن القصص القرآني من صميم الواقع لا شك في ذلك، وقد نقد رأيه في الأمثال القرآنية نقدا شديدا.

والذي نؤمن به أن المثقف الراقي المتدين ينبغي أن يؤمن في غاية من اليقين، أن كل ما ورد في (القرآن الكريم) بإطلاق، حق لا مرية فيه ولا شك ولا تأويل؛ لأنه ببساطة – ليس إلا كلمات الله تعالى، العالم بكل شيء، القادر على كل شيء فأمثاله كلها حق؛ لأن كل مثال ضرب منها لابد أن يكون قد حدث؛ لأنه يروى أمرا لا استحالة في حدوثه عقلا أو عادة أو تاريخا، فما مبرر القول إذن بالتقريب والتمثيل، والكلمات لله تعالى!. ينظر: مدخل للدراسات الإسلامية د. محمد بلتاجي ص295–296، رسالة الإسلام التي تصدرها دار التقريب بالقاهرة، العدد الثالث، من السنة السابعة ص233.

**المبحث الثاني: أنواع الأمثال في القرآن:**

فرّق الباحثون بين الأمثال القرآنية، وفقا لظهور المثل وكمونه، وطوله وقصره، وقيامه على التشبيه والتمثيل، وعدم قيامه عليهما، إلى غير ذلك من الاعتبارات.

**الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:**

الأول: مثل ظاهر، مصرح به.

الثاني: مثل كامن[1].

الثالث: الأمثال المرسلة (جارية مجرى المثل).

**المطلب الأول: النوع الأول: الأمثال المصرحة:**

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى في حق المنافقين:( **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** )[البقرة:17-20] [2].

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلا بالنار في قوله"كمثل الذي استوقد نارا..." لما في النار من مادة النور، ومثلا بالمطر في قوله: (أو كصيب من السماء) لما في الماء من مادة الحياة، وقد نزل الوحي من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين، فهم بمنزلة من استوقد نارا للإضاءة والنفع؛ حيث انتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله بما في النار من الإضاءة"ذهب الله بنورهم" وأبقى ما فيها من الإحراق.

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي،486/1،الإتقان، للسيوطي، 132/2،جواهر الأدب للهاشمي،288/1.

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، والإتقان، للسيوطي، الموضع السابق.

وذكر مثلهم المائي، فشبههم بحال من أصابهم مطر، فيه ظلمة ورعد وبرق، فخارت قواه ووضع أصبعيه في أذنيه وأغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه؛ لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق.

قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم:"هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفئ، فلما ماتوا، سلبهم الله العز، كما سلب صاحب النار ضوءه"**وتركهم في ظلمات**"، يقول: في عذاب، **أو كصيب**، هو المطر، ضرب مثله في القرآن" **فيه ظلمات**" يقول ابتلاء" **ورعد وبرق**" تخويفا" **يكاد البرق يخطف أبصارهم**" يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين"**كلما أضاء لهم مشوا فيه**" يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزا واطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة، قاموا فأبوا ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)** [الحج: 11] [(1)].

وذكر الله المثلين المائي والناري – في سورة الرعد للحق والباطل، فقال تعالى: **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)** [الرعد: 17] [(2)].

شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء، الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جري في الأودية، احتمل زبدا وغثاء. فكذلك الهدى والعلم، إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات، ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله:"**أنزل من السماء ماء...**" وهكذا يضرب الله الحق والباطل. وذكر المثل الناري في قوله:"**ومما يوقدون عليه في النار...**" فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد، عند سكبها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن

---

(1) ينظر: فتح القدير، للشوكاني 5/1.

(2) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم 118/1.

الجوهر، الذي ينتفع به فيذهب جفاء. فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث.

قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها، فأما الزبد فيذهب جفاء – وهو الشك – وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض – وهو اليقين، كما يجعل الحلى في النار، فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك. وقال عطاء: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وعن قتادة: هذه ثلاثة أمثال، ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت وربت بركته وأخرجت نباتها. وكذلك الذهب والفضة حين أدخل في النار، فأذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله، وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل في النار، كذلك يضمحل الباطل عن أهله[1].

**المطلب الثاني: النوع الثاني: الأمثال الكامنة:**

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

1–ما في معنى قولهم:"خير الأمور أوساطها".

أ. قوله تعالى في البقرة :( **لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** [البقرة: 68].

**ب.** قوله تعالى في النفقة ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[الفرقان: 67].

**ت.** قوله تعالى في الصلاة ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾[الإسراء: 110].

**ث.** قوله تعالى في الإنفاق ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾[الإسراء: 29].

2– ما في معنى قولهم:"ليس الخبر كالمعاينة".

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 168/2.

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ [البقرة: 260].

3-ما في معنى قولهم:"كما تدين تدان"

قوله تعالى﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[سورة النساء: 123].

4-ما في معنى قولهم:"لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

قوله تعالى على لسان يعقوب﴿ **قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ**﴾[يوسف: 64] [1].

وقد ذكر السيوطي في الإتقان عن الماوردي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله:... وذكر مجموعة من الأمثلة وما يقابلها من آيات قرآنية ومنها: من جهل شيئا عاداه، احذر شر من أحسنت إليه، في الحركات البركات، لا تلد الحية إلا حييه، للحيطان آذان، وغير ذلك من الأمثلة[2].

**المطلب الثالث: النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم[3].**

وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

وسميت"المثل السائر". ومعنى السائر: أنه كثر استعماله، ويقال أيضا:"تشبيه سائر"[1]. ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

---

(1) ما ذكر من الأمثلة الكامنة ذكرها الزركشي في البرهان 486/1، وهناك كتاب في الأمثلة الكامنة غير مطبوع، ألفه الحسن بن الفضل " الأمثلة القرآنية الكامنة" أشار إليه د. محمد جابر فياض،ص204، وجزم باستفادة الزركشي منه في الأمثلة الكامنة، وينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، ص16.

(2) الإتقان، للسيوطي، 168/2، 169، البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 490/1-495.

(3) ذكر الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، ص18-19، اثنى عشر لفظا من القرآن، رأى أنها جارية مجرى المثل السائر.

﴿**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾ [يوسف: 51]،:( **لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**﴾ [ النجم: 58]،( **قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾[يوسف: 41]،﴿**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾[هود: 81]،(**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ**﴾[ الأنعام: 67]،( **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾[ فاطر: 43]، ( **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾[ الروم: 41]،:( **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** )[البقرة: 286]، ﴿﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: 14]، (**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [المائدة: 99]،( **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[الرحمن: 60]، إلى غير ذلك من الآيات وهي كثيرة جدا في سور القرآن الكريم.

**واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل، ما حكم استعماله استعمال الأمثال؟**

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن، قال الرازي في تفسير قوله تعالى:" لكم دينكم ولي دين" جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة، وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل ليتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه.

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول:" ليس لها من دون الله كاشفة"، أو يحاوره صاحب مذهب فاسد، يحاول استهواءه إلى باطله فيقول:" لكم دينكم ولي دين"، والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة، فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح"[(2)].

---

(1) ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب في البيان ص135، نهاية الإيجاز، للرازي ص230، وقد أفرد ابن رشيق بابا مستقلا للحديث عن المثل السائر مفصولا عن التشبيه والتمثيل. العمدة، لابن رشيق1/280-286.

(2) ينظر: البرهان للزركشي 486/1، الاتقان للسيوطي،132/2، جواهر الأدب للهاشمي،288/1.

**المبحث الثالث: ما يتمثل به من قصص الأنبياء.**

يضرب المثل بسفينة نوح، ونار إبراهيم، وذئب يوسف، وحوت يونس، وعصا موسى، وخاتم سليمان، وناقة صالح، وحمار عزير.

قيل للحسن بن يسار البصري رحمه الله: أيكذب المؤمن للمؤمن؟ فقال: أنسيتم إخوة يوسف؟ وكان يقال: لا يغرنكم البكاء، فإن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

ومن قصة موسى قولهم: الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين. يريدون قوله عز:( **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)** [الشعراء:21].

**ويقال:** بيت فلان أفرغ من فؤاد أم موسى.

**ويقول** من ينبه على براءة ساحته: إني لم أعقر ناقة صالح.

**ويقال:** فقر كفقر الأنبياء؛ لأن فقراءهم أكثر من أغنيائهم.

**ويقال:** فلان خليفة الخضر، إذا كان يديم السفر ويكثر المسير[1].

**المبحث الرابع : أغراض الأمثال:[2].**

1- الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية، قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى:(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 264].

2- وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى:( **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾[البقرة: 275].

3- وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة؛ كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة في الآيات السابقة الذكر.

---

(1) ينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي 19-21، وقد اعتبرها البعض من الأمثال المستوحاة من قصص القرآن وآياته ينظر: الأمثال في القرآن الكريم وأثرها، ص171، محمود بن شريف .

(2) ينظر: الإتقان للسيوطي، 131/2، البرهان في علوم القرآن للزركشي،،486/1-487.

4- ويضرب المثل للترغيب في الممثل؛ حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس، كقوله تعالى:( **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** )[البقرة:261].

5- ويضرب المثل للتنفير؛ حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، كقوله تعالى في النهي عن الغيبة:( **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)** [الحجرات: 12].

6- ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة:( **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)** [الفتح: 29]. وكذلك حال الصحابة، فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجابا بعظمتهم.

7- ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس: كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه، فتنكب الطريق عن العمل به وانحدر في الدنيا منغمسا. قال تعالى:( **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)** [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

8- والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، قال تعالى﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[الزمر: 27]. قال

تعالى:( **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[العنكبوت: 43].
وضربها النبي ﷺ في حديثه[1].

ويكره العلماء ضرب الأمثال بالقرآن، ففي كتاب"فضائل القرآن لأبي عبيد النخعي" قال: كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا. قال أبو عبيد: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بحاجته، فيأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح:( **ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى**﴾[سورة طه: آية 40][2]، فهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب الزهري: لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ. قال أبو عبيد: يقول: لا تجعل لها نظيرا من القول ولا من الفعل.

**المبحث الخامس : الدور التربوي للأمثال:**

تلعب الأمثال دورًا مهما في العملية التربوية، فهي من أحد الأساليب المهمة فيها ، بما تمتلكه من قدرة مؤثرة في النفوس البشرية، فهي تكشف الحقائق وتوضح المعاني وتصورها في قوالب فنية محسوسة، كما تؤثر في سلوك الفرد وتفكيره، وتوجه الانفعالات والعواطف، وتغرس في النفوس المبادئ والأخلاق السامية، وتحرك نوازع الخير لدى الإنسان، وتربيه عقليًا، وأخلاقيًا، وسلوكيًا، واجتماعيًا؛ فهي أبلغ في الوعظ، وأوقع في النفس، وتسهم في الوصول إلى النتائج المطلوبة عن طريق تغيير السلوك وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

وضرب الأمثال طريقة تربوية ناجعة تؤثر تأثيرًا عميقًا في العملية الإصلاحية.

وقد نبه كثير من العلماء إلى أهمية الأمثال، وفيما يلي بيان من أقوالهم:

يقول العلامة أبو السعود:" التمثيلَ ألطفُ ذريعةٍ إلى تسخير الوهم للعقل واستنزالِه من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلةٍ إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع ثورة الجامح الآبي، كيف لا! وهو رفعُ الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازٌ لها في معرض

---

(1) من ذلك قوله ﷺ: "الأعمال بالنيات" "إن من الشعر لحكمة" "لا ضرر ولا ضرار" "أنزلوا الناس منازلهم" "مطل الغني ظلم" "من غشنا فليس منا" " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس" "كل ميسر لما خلق له" "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" "الأعمال بخواتيمها" "المرء على دين خليله" "دع ما يريبك إلى مالا يريبك" "المجالس بالأمانة" إلى غير ذلك.

(2) ينظر: البرهان، للزركشي، 486/1، الإتقان، للسيوطي، 45/4.

المحسوسات الجلية، وإبداءٌ للمنكر في صورة المعروف، وإظهارٌ للوحشي في هيئة المألوف"[1].

ويقول العلامة الزمخشري: "التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيمًا، كان المتمثل به مثله، وإن كان صغيرًا كان المتمثل به كذلك"[2].

وقال العلامة الأصبهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثال والنظائر شيء ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق تريك به المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامح الأبي فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه[3].

فينبغي علينا دراسة الأمثال القرآنية والنبوية والاستفادة منها ومن نهجها وطريقتها وأسلوبها في تذليل الصعوبات التعليمية، لما لها من أهمية في القدرة على التوضيح والتأثير وعرض الحقائق بصورة واضحة ومقنعة .

---

(1) تفسير أبي السعود، 50/1.

(2) تفسير الزمخشري، 111/1.

(3) الإتقان، للسيوطي، 45/4.

**الفصل الثامن:وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن الكريم.**

ذكر الزركشي النوع الثاني والأربعون في وُجُوهِ الْمُخَاطَبَاتِ وَالْخِطَابُ فِي الْقُرْآنِ،فقال :يَأْتِي عَلَى نَحْوٍ مَنْ أَرْبَعِينَ وَجْهًا:

**الْأَوَّلُ: خِطَابُ الْعَامِّ الْمُرَادُ بِهِ الْعُمُومُ**

كَقَوْلِهِ تَعَالَى"**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ": **[المجادلة:7]** وَقَوْلِهِ:" **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا** " **[يونس:44]1**وقوله:" **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** " **[الكهف:49]**..... وهو كثير في القرآن .

**الثَّانِي:خِطَابُ الْخَاصِّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ**

مِنْ ذلك قوله"يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ "[آل عمران:106] ،"**هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة:35]**": وقوله **تعالى**"**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" [الدخان: ٤٩ ]** ،" **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ"** [المائدة: ٦٧] **وَقَوْلُهُ:" فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا " [الأحزاب:** ٣٧ ]،وَغَيْرُ ذَلِكَ.

**الثَّالِثُ: خِطَابُ الْخَاصِّ وَالْمُرَادُ بِهِ العموم.**

كقوله:" **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ " [الطلاق:1 ]**فَافْتَتَحَ الْخِطَابَ بِالنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُرَادُ سَائِرُ مَنْ يَمْلِكُ الطَّلَاقَ ،وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى:" **إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ**

**الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50)** [الأحزاب: ٥٠ ]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّيْرَفِيُّ[1]: كَانَ ابْتِدَاءُ الْخِطَابِ لَهُ فَلَمَّا قَالَ فِي الْمَوْهُوبَةِ: "خَالِصَةً لَك" عُلِمَ أَنَّ مَا قَبْلَهَا لَهُ وَلِغَيْرِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَقَوْلُهُ تَعَالَى"":**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً"[ النساء :102]**

وَجَرَى أَبُو يُوسُفَ عَلَى الظَّاهِرِ فَقَالَ: إنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،**وَأَجَابَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ "فِيهِمْ" عَلَى أَنَّهُ شَرْطٌ بَلْ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ حَالٍ ،وَالْأَصْلُ فِي الْخِطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمُعَيَّنٍ،وَقَدْ يَخْرُجُ عَلَى غَيْرِ مُعَيَّنٍ لِيُفِيدَ الْعُمُومَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**["[سورة البقرة آية :25] وَفَائِدَتُهُ الْإِيذَانُ بِأَنَّهُ خَلِيقٌ بِأَنْ يُؤْمَرَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ لِيَحْصُلَ مَقْصُودُهُ الْجَمِيلُ.

وَكَقَوْلِهِ: **"وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ"[سورة سبأ آية 51]** أُخْرِجَ فِي صُورَةِ الْخِطَابِ لَمَّا أُرِيدَ الْعُمُومُ للقصد إلى تقطيع حَالِهِمْ

---

1) أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بالصيرفي، الفقيه الشافعي البغدادي، كان من جملة الفقهاء، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج، واشتهر بالحذق في النظر والقياس وعلوم الأصول، وله في أصول الفقه كتاب لم يسبق إلى مثله. حكى أبو بكر القفال في كتابه الذي صنفه في الأصول أن أبا بكر الصيرفي كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي. وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلثمائة، رحمه الله تعالى.[ينظر :وفيات الأعيان :ابن خلكان ج4 ص199]

وَأَنَّهَا تَنَاهَتْ فِي الظُّهُورِ حَتَّى امْتَنَعَ خفاؤها فلا تخص بِهَا رُؤْيَةَ رَاءٍ ،بَلْ كُلَّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ الرُّؤْيَةُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْخِطَابِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**"[سورة الإنسان الآية 20]لَمْ يُرَدْ بِهِ مُخَاطَبٌ مُعَيَّنٌ بَلْ عُبِّرَ بِالْخِطَابِ لِيَحْصُلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِيهِ مَدْخَلٌ مُبَالَغَةً فِيمَا قَصَدَ اللَّهُ مِنْ وَصْفِ مَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْمُلْكِ وَلِبِنَاءِ الْكَلَامِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ عَلَى الْعُمُومِ لَمْ يَجْعَلْ لِـ: "**تَرَى**" وَلَا لِـ: "**رَأَيْتَ**" مَفْعُولًا ظَاهِرًا وَلَا مُقَدَّرًا لِيَشِيعَ وَيَعُمَّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: "**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**" (السجدة:12) فَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَمَنَعَهُ قَوْمٌ وَقَالَ: الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَوْ لِلتَّمَنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم– كالترجي في "لعلهم يهتدون" لِأَنَّهُ تَجَرَّعَ مِنْ عَدَاوَتِهِمُ الْغُصَصَ فَجَعَلَهُ اللَّهُ كَأَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ يَرَاهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْفَظِيعَةِ مَنْ نَكْسِ الرؤوس صُمًّا عُمْيًا لِيَشْمَتَ بِهِمْ،**وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ: "لَوْ" امْتِنَاعِيَّةً وَجَوَابَهَا مَحْذُوفٌ أَيْ لَرَأَيْتَ أَسْوَأَ حَالٍ يُرَى.**

**<u>الرَّابِعُ: خِطَابُ الْعَامِّ وَالْمُرَادُ الْخُصُوصُ.</u>**

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وُقُوعِ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فَأَنْكَرَهُ بَعْضُهُمْ لِأَنَّ الدَّلَالَةَ الْمُوجِبَةَ لِلْخُصُوصِ بِمَنْزِلَةِ الِاسْتِثْنَاءِ الْمُتَّصِلِ بِالْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**" (سورة العنكبوت:14) ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ وَاقِعٌ كَقَوْلِهِ: "**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**" [سورة آل عمران:173] وَعُمُومُهُ يَقْتَضِي دُخُولَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي اللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا،وَالْمُرَادُ بَعْضُهُمْ لِأَنَّ الْقَائِلِينَ غَيْرُ الْمَقُولِ لَهُمْ

،وَالْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ نُعَيْمُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ[1]،وَالثَّانِي أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ[2] قَالَ الْفَارِسِيُّ: وَمِمَّا يقوي أن المراد بالناس في قوله: " إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ"وَاحِدٌ قَوْلُهُ تعالى:"**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ**"[سورة آل عمران :175]فَوَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: "**ذَلِكُمْ**" إِلَى وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ ،وَلَوْ كَانَ الْمَعْنِيُّ بِهِ جَمْعًا لَكَانَ "**إِنَّمَا إنما أولئكم الشَّيَاطِينُ**" فَهَذِهِ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي اللَّفْظِ ،وَقِيلَ بَلْ وُضِعَ فِيهِ "الَّذِينَ" مَوْضِعَ "الَّذِي"،وَقَوْلِهِ تعالى:"**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ**" يَعْنِي: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ،.....

---

1)وقيل :إنما وصف نعيم بأنه الناس؛ لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان[دراسات في علوم القرآن:فهد الرومي ج1 ص415]

2) هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الصُّغْرَى،رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا عَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْصَرِفَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ نَادَى: يَا مُحَمَّدُ مَوْعِدُنَا مَوْسِمَ بَدْرٍ الصُّغْرَى فَنَقْتَتِلُ بِهَا إِنْ شِئْتَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعُمَرَ: قُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَمَّا حَضَرَ الْأَجَلُ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ مَعَ قَوْمِهِ حَتَّى نَزَلَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى الرُّعْبَ فِي قَلْبِهِ، فَبَدَا لَهُ أَنْ يَرْجِعَ، فَلَقِيَ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ وَقَدْ قَدِمَ نُعَيْمٌ مُعْتَمِرًا، فَقَالَ: يَا نُعَيْمُ إِنِّي وَعَدْتُ مُحَمَّدًا أَنْ نَلْتَقِيَ بِمَوْسِمِ بَدْرٍ، وَإِنَّ هَذَا عَامُ جَدْبٍ وَلَا يُصْلِحُنَا إِلَّا عَامٌ نَرْعَى فِيهِ الشَّجَرَ وَنَشْرَبُ فِيهِ اللَّبَنَ، وَقَدْ بَدَا لِي أَنْ أَرْجِعَ، وَلَكِنْ إِنْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ وَلَمْ أَخْرُجْ زَادَ بِذَلِكَ جَرَاءَةً، فَاذْهَبْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَثَبِّطْهُمْ وَلَكَ عِنْدِي عَشَرَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، فَخَرَجَ نُعَيْمٌ فَوَجَدَ الْمُسْلِمِينَ يَتَجَهَّزُونَ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذَا بِالرَّأْيِ، أتوكم في دياركم وقتلوا أكثرهم فَإِنْ ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، فَوَقَعَ هَذَا الْكَلَامُ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ مِنْهُمْ، فَلَمَّا عَرَفَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَخْرُجَنَّ إِلَيْهِمْ وَلَوْ وَحْدِي» ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، ومعه نحو من سَبْعِينَ رَجُلًا فِيهِمُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَذَهَبُوا إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بَدْرٍ الصُّغْرَى، وَهِيَ مَاءٌ لِبَنِي كِنَانَةَ، وَكَانَتْ مَوْضِعَ سُوقٍ لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا كُلَّ عَامٍ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَلْقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَوَافَقُوا السُّوقَ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ نَفَقَاتٌ وَتِجَارَاتٌ، فَبَاعُوا وَاشْتَرَوْا أُدْمًا وَزَبِيبًا وَرَبِحُوا وَأَصَابُوا بِالدِّرْهَمِ دِرْهَمَيْنِ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ فَسَمَّى أَهْلُ مَكَّةَ جَيْشَهُ جَيْشَ السَّوِيقِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتَشْرَبُوا السَّوِيقَ،فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ.[ينظر:مفاتيح الغيب:الرازي ج9 ص432]

وقوله تعالى:"**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ** "[النساء :1] لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ،ثُمَّ التَّخْصِيصُ يَجِيءُ تَارَةً فِي آخِرِ الْآيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** "[النساء:4] فَهَذَا عَامٌّ فِي الْبَالِغَةِ وَالصَّغِيرَةِ عَاقِلَةً أَوْ مَجْنُونَةً ثُمَّ خُصَّ فِي آخِرِهَا بِقَوْلِهِ: " **فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا** "الْآيَةَ فَخَصَّهَا بِالْعَاقِلَةِ الْبَالِغَةِ؛لِأَنَّ مَنْ عَدَاهَا عِبَارَتُهَا مُلْغَاةٌ فِي الْعَفْوِ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ:" **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**"[البقرة :228] فَإِنَّهُ عَامٌّ فِي الْبَائِنَةِ وَالرَّجْعِيَّةِ ثُمَّ خَصَّهَا بِالرَّجْعِيَّةِ بِقَوْلِهِ: " **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا** "لِأَنَّ الْبَائِنَةَ لَا تُرَاجَعُ.

وَتَارَةً فِي أَوَّلِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**" فَإِنَّ هَذَا خَاصٌّ فِي الَّذِي أَعْطَاهَا الزَّوْجُ ثُمَّ قَالَ بَعْدُ:" **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**" فَهَذَا عَامٌّ فِيمَا أَعْطَاهَا الزَّوْجُ أَوْ غَيْرُهُ إِذَا كَانَ مِلْكًا لَهَا،.....ونظيره قوله تعالى: "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ**"**[سورة المائدة : 3]** وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْمَيْتَاتِ ثُمَّ خَصَّهُ **بقوله: "فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ "[سورة المائدة :4]** فَأَبَاحَ الصَّيْدَ الَّذِي يَمُوتُ فِي فَمِ الْجَارِحِ الْمُعَلَّمِ،وَخُصِّصَ أَيْضًا عُمُومُهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى قَالَ:" **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**"[سورة المائدة:96] تَقْدِيرُهُ: وَإِنْ كَانَتْ مَيْتَةً فَخُصَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عموم تلك.

ومثله قوله تعالى: "**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** "[سورة النور:29]،ونظيره قوله: "**والدم**"، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: " **إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ**" [الأنعام:145]يَعْنِي إِلَّا الْكَبِدَ وَالطِّحَالَ فَهُوَ حَلَالٌ.

ثُمَّ هَذِهِ الْآيَةُ خَاصَّةٌ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ مكية ،والآية العامة في سورة المائدة وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخَاصُّ عَلَى الْعَامِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي النُّزُولِ آيَةَ الْوُضُوءِ عَلَى أَنَّهُ التَّيَمُّمُ ،وَهَذَا مَاشٍ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ فِي أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَاصِّ سَوَاءٌ تَقَدَّمَ أَمْ تَأَخَّرَ ،ومثله قوله تعالى: **"وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا "[النساء :20]** والآية وَهَذَا عَامٌّ سَوَاءٌ رَضِيَتِ الْمَرْأَةُ أَمْ لَا ثُمَّ خَصَّهَا بِقَوْلِهِ:" **إِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا"** [النساء:4]،وَخَصَّهَا بِقَوْلِهِ:**"فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ" [البقرة:229]**

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **"وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ "[البقرة:228]**الْآيَةَ فَهَذَا عَامٌّ فِي الْمَدْخُولِ بِهَا وَغَيْرِهَا ثُمَّ خصها فقال تعالى: **"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا"** [الأحزاب:49] الآية فَخَصَّ الْآيِسَةَ وَالصَّغِيرَةَ وَالْحَامِلَ ،فَالْآيِسَةُ وَالصَّغِيرَةُ بِالْأَشْهُرِ وَالْحَامِلُ بِالْوَضْعِ.

وَنَظِيرُهُ **قَوْلُهُ: " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا "** [البقرة:234]الآية ،وَهَذَا عَامٌّ فِي الْحَامِلِ وَالْحَائِلِ ثُمَّ خُصَّ بِقَوْلِهِ:" **وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ "[الطلاق:4]**

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:" **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ " [النساء :3.]**الآية ،وَهَذَا عَامٌّ فِي ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ وَالْأَجْنَبِيَّاتِ ثُمَّ خص بقوله: " **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ** "[النساء :23] الآية.

وقوله: " **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** "[النور:2] عَامٌّ فِي الْحَرَائِرِ وَالْإِمَاءِ ثُمَّ خَصَّهُ بِقَوْلِهِ: " **فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ** "[النساء :25]

وَقَوْلُهُ: " **لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ** "**[البقرة:254]** فَإِنَّ الْخُلَّةَ عَامَّةٌ ثُمَّ خَصَّهَا بِقَوْلِهِ: "**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**"**[الزخرف:67]**وكذلك قوله: " **وَلَا شَفَاعَةٌ** " بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

**<u>الْخَامِسُ: خِطَابُ الْجِنْسِ</u>**

نَحْوُ: "**يا أيها الناس**"فَإِنَّ الْمُرَادَ جِنْسُ النَّاسِ لَا كُلَّ فَرْدٍ وَإِلَّا فَمَعْلُومٌ أَنَّ غَيْرَ الْمُكَلَّفِ لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ هَذَا الْخِطَابِ، وَهَذَا يَغْلِبُ فِي خِطَابِ أَهْلِ مَكَّةَ كَمَا سَبَقَ وَرَجَّحَ الْأُصُولِيُّونَ دُخُولَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي الْخِطَابِ بـ يأيها الناس وفي القرآن سورتان أولهما "يا أيها النَّاسُ" إِحْدَاهُمَا: فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ وَهِيَ السُّورَةُ الرابعة منه وَهِيَ سُورَةُ النِّسَاءِ، وَالثَّانِيَةُ فِي النِّصْفِ الثَّانِي: مِنْهُ وَهِيَ سُورَةُ الْحَجِّ ،وَالْأُولَى تَشْتَمِلُ عَلَى شَرْحِ الْمَبْدَأِ ،وَالثَّانِيَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى شَرْحِ الْمَعَادِ فَتَأَمَّلْ هَذَا التَّرْتِيبَ مَا أَوْقَعَهُ فِي الْبَلَاغَةِ.

قال الراغب[1] "والناس" قَدْ يُذْكَرُ وَيُرَادُ بِهِ الْفُضَلَاءُ دُونَ مَنْ يَتَنَاوَلُهُ اسْمُ النَّاسِ تَجَوُّزًا ،وَذَلِكَ إِذَا اعْتُبِرَ معنى الإنسانية ،وهو وجود العقل وَالذِّكْرِ وَسَائِرِ الْقُوَى الْمُخْتَصَّةِ بِهِ ،فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عُدِمَ فِعْلُهُ الْمُخْتَصُّ بِهِ لَا يَكَادُ يَسْتَحِقُّ اسْمَهُ كَالْيَدِ فَإِنَّهَا إِذَا عَدِمَتْ فِعْلَهَا الْخَاصَّ بِهَا فَإِطْلَاقُ الْيَدِ عَلَيْهَا كَإِطْلَاقِهِ

---

1)قال الراغب الأصفهاني:" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ [الناس/ 1] ،والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوّزا، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانيّة، وهو وجود العقل، والذّكر، وسائر الأخلاق الحميدة، والمعاني المختصّة به، فإنّ كلّ شيء عدم فعله المختصّ به لا يكاد يستحقّ اسمه كاليد، فإنّها إذا عدمت فعلها الخاصّ بها فإطلاق اليد عليها كإطلاقها على يد السّرير ورجله، فقوله: آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ [البقرة/ 13] أي: كما يفعل من وجد فيه معنى الإنسانيّة، ولم يقصد بالإنسان عينا واحدا بل قصد المعنى، وكذا قوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ [النساء/ 54] أي: من وجد فيه معنى الإنسانيّة أيّ إنسان كان،وربّما قصد به النّوع كما هو، وعلى هذا قوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ "[المفردات في غريب القرآن ج1 ص829]

عَلَى يَدِ السَّرِيرِ وَمَثَّلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:" **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ"[البقرة:13]** أَيْ: كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يُوجَدُ فِيهِ مَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَمْ يَقْصِدْ بِالْإِنْسَانِ عَيْنًا وَاحِدًا ،بَلْ قَصَدَ الْمَعْنَى ،وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:"**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ "[النساء:54]** أَيْ: مَنْ وُجِدَ فِيهِمْ مَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ أَيَّ إِنْسَانٍ كَانَ،قَالَ: وَرُبَّمَا قُصِدَ بِهِ النَّوْعُ مِنْ حَيْثُ هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: " **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ "[البقرة:251]**

**السادس: خطاب النوع**

نحو:"يا بني إسرائيل"، والمراد: بنو يعقوب وإنما صرح بِهِ لِلَطِيفَةٍ سَبَقَتْ فِي النَّوْعِ السَّادِسِ وَهُوَ علم المبهمات.

السابع: خطاب **العين**

نحو: "يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"[البقرة :35]يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ [هود:48] "يَامُوسَى"،"يا عيسى"

وَلَمْ يَقَعْ فِي الْقُرْآنِ النِّدَاءُ بِـ "يَا محمد" بل بـ"يا أيها النبي" و "يا أيها الرسول" تَعْظِيمًا لَهُ وَتَبْجِيلًا وَتَخْصِيصًا بِذَلِكَ عَنْ سِوَاهُ.

**الثامن: خطاب المدح**

نحو:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا "وَهَذَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا تَمْيِيزًا لَهُمْ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَقَدْ سبق أن كل آية فيها: " يَاأَيُّهَا النَّاسُ "لِأَهْلِ مَكَّةَ وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَ " يَاأَيُّهَا النَّاسُ "الأمر بأصل الإيمان ويأتي بعد "يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا" الْأَمْرُ بِتَفَاصِيلِ الشَّرِيعَةِ ،وَإِنْ جَاءَ بَعْدَهَا الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْأَمْرِ بِالِاسْتِصْحَابِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:"**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"[النور:31] قِيلَ: يَرِدُ الْخِطَابُ بِذَلِكَ بِاعْتِبَارِ الظَّاهِرِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ فَإِنَّهُمْ

كَانُوا يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ ،كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:" **قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**"[المائدة:41]

وَقَدْ جَوَّزَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ في قوله تعالى: "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**"[المجادلة:12] أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَنْ يَكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ الْخِطَابُ بـ "يا أيها النبي""يا أيها الرسول" وَلِهَذَا تَجِدُ الْخِطَابَ بِالنَّبِيِّ فِي مَحَلٍّ لَا يَلِيقُ بِهِ الرَّسُولُ، وَكَذَا عَكْسَهُ كَقَوْلِهِ فِي مقام الأمر بالتشريع العام: "**يا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**"[المائدة:67] وفي مقام الخاص: "**يا أيها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**"[التحريم:1] ومثله: " إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ "[الأحزاب:50].....

وَقَدْ يُعَبَّرُ بِالنَّبِيِّ فِي مَقَامِ التَّشْرِيعِ الْعَامِّ لَكِنَّ مَعَ قَرِينَةِ إرادة التعميم كقوله: " **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**" وَلَمْ يَقِلْ طَلَّقْتَ.

**<u>التَّاسِعُ: خِطَابُ الذَّمِّ</u>**

نَحْوُ:"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** "[التحريم:7]"**قل يا أيها الْكَافِرُونَ**"[الكافرون:1]،وَلِتَضَمُّنِهِ الْإِهَانَةَ لَمْ يَقَعْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ.

وَكَثُرَ الْخِطَابُ بِـ "يا أيها الذين آمنوا" عَلَى الْمُوَاجَهَةِ وَفِي جَانِبِ الْكُفَّارِ عَلَى الْغَيْبَةِ إِعْرَاضًا عَنْهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: " **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ**" [الأنفال:38]ثُمَّ قَالَ: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**"**[البقرة:193]** فَوَاجَهَ بِالْخِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْرَضَ بِالْخِطَابِ عَنِ الْكَافِرِينَ ،وَلِهَذَا كَانَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

إِذَا عَتَبَ عَلَى قَوْمٍ قَالَ: "مَا بَالُ رِجَالٍ يَفْعَلُونَ كَذَا" فَكَنَّى عَنْهُ تَكَرُّمًا وَعَبَّرَ عَنْهُمْ بِلَفْظِ الْغَيْبَةِ إِعْرَاضًا.

**الْعَاشِرُ: خِطَابُ الْكَرَامَةِ.**

نَحْوُ: "**وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**"**[الأعراف:19]**وقوله: " **ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ** "**[الحجر :46]**

**الْحَادِي عَشَرَ: خِطَابُ الْإِهَانَةِ.**

نَحْوُ قَوْلِهِ لِإِبْلِيسَ: " **قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35)** "[الحجر:34-35]وقوله: "**قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**" [المؤمنون:108].....

**الثَّانِي عَشَرَ: خِطَابُ التَّهَكُّمِ**

وَهُوَ الِاسْتِهْزَاءُ بِالْمُخَاطَبِ مَأْخُوذٌ مِنْ تَهَكَّمَ الْبِئْرُ إِذَا تَهَدَّمَتْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**"[الدخان:49] وَهُوَ خِطَابٌ لِأَبِي جَهْلٍ لِأَنَّهُ قَالَ: "مَا بين جَبَلَيْهَا -يَعْنِي مَكَّةَ- أَعَزُّ وَلَا أَكْرَمُ مِنِّي"

**وقال: " فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** " جَعَلَ الْعَذَابَ مُبَشَّرًا بِهِ.

**وَقَوْلُهُ: " فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ** "[الواقعة56-54]،وَقَوْلُهُ: "**وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**"**[الواقعة:92-93]**

وَالنُّزُلُ لُغَةً: هُوَ الَّذِي يُقَدَّمُ لِلنَّازِلِ تَكْرِمَةً لَهُ قَبْلَ حُضُورِ الضِّيَافَةِ.....وَقَوْلُهُ تَعَالَى:" **وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44)**" [الواقعة:43-44]وَذَلِكَ لِأَنَّ الظِّلَّ مِنْ شَأْنِهِ الِاسْتِرْوَاحُ وَاللَّطَافَةُ

**الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد**

**كقوله:" يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" [الانشاق :6]**
**"يا يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }[الانفطار:6]** وَالْمُرَادُ: الْجَمِيعُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: **"إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا"[العصر:2]**وَكَانَ الْحَجَّاجُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ"،وَكَثِيرًا مَا يَجِيءُ ذَلِكَ فِي الْخَبَرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى" "إِنَّ هَؤُلَاءِ ضيفي"، وَلَمْ يَقُلْ ضُيُوفِي لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ،وَقَوْلِهِ:" **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** "[ المنافقون:4] وَلَمْ يَقِلِ الْأَعْدَاءُ،وَقَوْلِهِ: **"وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا"**[النساء :69] أَيْ: رُفَقَاءَ،وَقَوْلِهِ:**"لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ"**[البقرة 258] " **فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** "[الحاقة:47]

وَفِي الْوَصْفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** "[المائدة:6]وقوله: "**بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ"[التحريم:4]**.....وَقَوْلِهِ:**"أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ** "[النور:31] فَأَوْقَعَ الطِّفْلَ جِنْسًا.

قَالَ ابْنُ جِنِّي: وَهَذَا بَابٌ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الِاسْمُ لَا الصِّفَةُ نَحْوُ الشَّاةُ وَالْبَعِيرُ وَالْإِنْسَانُ وَالْمَلَكُ ،قَالَ تَعَالَى: "**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا "[الحاقة :17]**،"**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا "[الفجر:22]**[1]"**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ"[العصر:2]**

.....

**<u>الرابع عشر: خِطَابُ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ الجمع</u>**

كقوله تعالى:"**يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** "[المؤمنون:51] إِلَى قَوْلِهِ:**"فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ** "[المؤمنون:54] فَهَذَا خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَحْدَهُ إِذْ لَا نَبِيَّ مَعَهُ قَبْلَهُ وَلَا بعده،وقوله:"**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ**

---

1)ينظر:المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)ج1 ص86

**لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**"[النحل:126] خَاطَبَ بِهِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: " **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** "[النحل:127]

**وقوله: " وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** "[النور:22] الْآيَةَ خَاطَبَ بِذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لَمَّا حَرَمَ مِسْطَحًا رِفْدَهُ حِينَ تَكَلَّمَ فِي حَدِيثِ الإفك.[1]

وقوله:" **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"[هود:14]**وَالْمُخَاطَبُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْضًا لقوله: **"قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ "[هود:13]**،وقوله تعالى:" **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** "[الشعراء:21]

وَجَعَلَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: **"حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ "[المؤمنون:99]** أَيِ: ارْجِعْنِي وَإِنَّمَا خَاطَبَ الْوَاحِدَ الْمُعَظَّمَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَقُولُ نَحْنُ فَعَلْنَا ،فَعَلَى هَذَا الِابْتِدَاءِ خُوطِبُوا بِمَا فِي الْجَوَابِ ،وَقِيلَ "رَبِّ" اسْتِغَاثَةٌ وَ "ارْجِعُونَ" خِطَابُ الْمَلَائِكَةِ فَيَكُونُ الْتِفَاتًا أَوْ جَمْعًا لِتَكْرَارِ الْقَوْلِ كَمَا قَالَ: "قِفَا نَبْكِ".

وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: هُوَ قَوْلُ مَنْ حَضَرْتُهُ الشَّيَاطِينُ وَزَبَانِيَةُ الْعَذَابِ فَاخْتَلَطَ وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ مِنَ الشَّطَطِ ،وَقَدِ اعْتَادَ أَمْرًا يَقُولُهُ فِي الْحَيَاةِ مِنْ رَدِّ الْأَمْرِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ،وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **"نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"**[الزخرف:32]الْآيَةَ ،وَهَذَا مِمَّا لَا تَشْرِيكَ فِيهِ.

وَقَالَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ: "لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ ضَمِيرُ الْجَمْعِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى حُكْمِ الِاسْتِلْزَامِ ،لِأَنَّ ذَلِكَ كِبْرٌ وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ سُبْحَانَهُ.

---

1)أخرجه البخاري في صحيحه برقم(4750)كتاب:"تفسيرالقرآن"،باب :" لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ "[النور:12]ج6 ص101

وَمِنْ هَذَا مَا حَكَاهُ الْحَرِيرِيُّ فِي شَرْحِ الْمُلْحَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ مَنَعَ مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ نَحْنُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّعْظِيمِ، وَهُوَ غَرِيبٌ، وَحَكَى بَعْضُهُمْ خِلَافًا فِي نُونِ الْجَمْعِ الْوَارِدَةِ فِي كَلَامِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فَقِيلَ: جَاءَتْ لِلْعَظَمَةِ يُوصَفُ بِهَا سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ أَنْ يُنَازِعَهُ فِيهَا ..... فَأَمَّا قَوْلُ الْعَالِمِ: "نَحْنُ نُبَيِّنُ" "وَنَحْنُ نشرح" فمفسوح لَهُ فِيهِ لِأَنَّهُ يُخْبِرُ بِنُونِ الْجَمْعِ عَنْ نفسه وأهل مقالته .

**الخامس عشر : خِطَابُ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ بِلَفْظِ الِاثْنَيْنِ**

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:"**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** "، وَالْمُرَادُ: مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْخِطَابُ لِخَزَنَةِ النَّارِ وَالزَّبَانِيَةِ ،وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ الرُّفْقَةَ أَدْنَى مَا تَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ فَجَرَى كَلَامُ الْوَاحِدِ عَلَى صَاحِبَيْهِ ،وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلْمَلَكَيْنِ الْمُوَكَّلَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ:" **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** "**[ق:21]**،وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: لَمَّا ثَنَّى الضَّمِيرَ اسْتَغْنَى عَنْ أَنْ يَقُولَ أَلْقِ أَلْقِ يُشِيرُ إِلَى إِرَادَةِ التَّأْكِيدِ اللَّفْظِيِّ.

وَجَعَلَ الْمَهْدَوِيُّ مِنْهُ قَوْلَهُ تعالى: " **قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** "[يونس:89] قَالَ: الْخِطَابُ لِمُوسَى وَحْدَهُ لِأَنَّهُ الدَّاعِي ،وَقِيلَ: لَهُمَا وَكَانَ هَارُونُ قَدْ أَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ وَالْمُؤَمِّنُ أَحَدُ الدَّاعِيَيْنِ.

**السَّادِسَ عَشَرَ: خِطَابُ الِاثْنَيْنِ بلفظ الواحد**

كقوله تعالى:"**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى**"[طه:49] أَيْ: وَيَا هَارُونَ،**وَفِيهِ وَجْهَانِ:**

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ أَفْرَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنِّدَاءِ بِمَعْنَى التَّخْصِيصِ والتوقف إذا كَانَ هُوَ صَاحِبَ عَظِيمِ الرِّسَالَةِ وَكَرِيمِ الْآيَاتِ وَذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ.

**وَالثَّانِي:** لَمَّا كَانَ هَارُونُ أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْهُ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ ثَبَتَ عَنْ جَوَابِ الْخَصْمِ الْأَلَدِّ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشَّافِ، وَانْظُرْ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْجَوَابِينَ.[1] ومثله: **"فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** "[طه:117]" ،قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: إِنَّمَا أَفْرَدَهُ بِالشَّقَاءِ مِنْ حَيْثُ كَانَ الْمُخَاطَبُ أَوَّلًا،وَالْمَقْصُودُ فِي الْكَلَامِ ،وَقِيلَ: بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الشَّقَاءَ فِي مَعِيشَةِ الدُّنْيَا فِي حَيِّزِ الرِّجَالِ ،وَيُحْتَمَلُ الْإِغْضَاءُ عَنْ ذِكْرِ الْمَرْأَةِ ،وَلِهَذَا قِيلَ مِنَ الْكَرَمِ سَتْرُ الْحُرَمِ،وَقَوْلِهِ: " **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[الشعراء:16].....**

**السابع عشر: خِطَابُ الْجَمْعِ بَعْدَ الْوَاحِدِ**

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: " **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا** "[يونس:61] الآية فَجُمِعَ ثَالِثُهَا ،وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ[2]: إِنَّمَا جُمِعَ فِي الْفِعْلِ الثَّالِثِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْأُمَّةَ دَاخِلُونَ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في الفعلين الأولين.

---

1 )وقال الفراء : يكلم الاثنين ثُمَّ يجعل الخطاب لواحد لأن لكلام إنما يكون من الواحد لا من الجميع. ومثله مما جُعِل الفعل عَلَى اثنين وهو لواحد قوله: (نَسِيا حُوتَهُما)[الكهف:61] وإنّما نسيه واحد ألا ترى أَنَّهُ قَالَ لموسى (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ) ومثله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ )[الرحمن:22] وإنما يخرج من الملح.[ينظر:معاني القرآن ج2 ص180]

2) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعه بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر ابن الأنباري النحوي،كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظا له،ولد في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين، كان أبو بكر ابن الأنباري يملى كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث، والأخبار، والتفاسير، والأشعار، كل ذلك من حفظه، من تصانيفه الكثيرة: الكافي في النحو، غريب الحديث، الهاءات في كتاب الله عز وجل، ادب الكاتب لم يتمه، والمشكل في معاني القرآن لم يكمل، وتوفي ليلة النحر من ذي الحجة من سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة[ينظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)ج4 ص299 ،معجم المؤلفين ج11 143]

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:"**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** "[يونس87] فَثَنَّى فِي الْأَوَّلِ ثُمَّ جَمَعَ ثُمَّ أَفْرَدَ لِأَنَّهُ خُوطِبَ أَوَّلًا مُوسَى وَهَارُونُ لِأَنَّهُمَا الْمَتْبُوعَانِ، ثُمَّ سِيقَ الْخِطَابُ عَامًّا لَهُمَا وَلِقَوْمِهِمَا بِاتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا لِأَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ خُصَّ مُوسَى بِالْبِشَارَةِ تَعْظِيمًا لَهُ.

**<u>الثَّامِنَ عَشَرَ : خِطَابُ عَيْنٍ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ</u>**

كقوله: " **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**"[الأحزاب:1]الْخِطَابُ لَهُ وَالْمُرَادُ الْمُؤْمِنُونَ لِأَنَّهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ تَقِيًّا وَحَاشَاهُ مِنْ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ،وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ: " **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** " [الأحزاب:2]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ"[يونس:94]** بدليل قوله في صدر الآية بعدها: "**قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** "[يونس:104] ،وَمِنْهُمْ مَنْ أَجْرَاهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَأَوَّلَهُ، قَالَ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ فِي الْيَاقُوتَةِ: سَمِعْتُ الْإِمَامَيْنِ ثَعْلَبَ وَالْمُبَرِّدَ يَقُولَانِ: مَعْنَى "**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ**" أي قل يا محمد: إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ فَاسْأَلْ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ إِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ كِتَابٍ[1]وَقَوْلِهِ:" **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى**

---

[1]) قَالَ أَبُو عمر: سَمِعت الْإِمَامَيْنِ ثعلبا والمبرد يَقُولَانِ: معنى "فَإِن كنت فِي شكّ" أَي: قل يَا مُحَمَّد للْكَافِرِ: فَإِن كنت فِي شكّ من الْقُرْآن فاسأل من اسْلَمْ من الْيَهُود، الَّذين يقرءُون الْكتاب من قبلك، أَي: يَا عَابِد الوثن، إِن كنت فِي شكّ من الْقرَان فاسأل من أسلم من الْيَهُود – يَعْنِي: عبد الله بن سَلام، وَأَمْثَاله – لِأَن عَبدة الْأَوْثَان كَانُوا يقرونَ للْيَهُود أَنهم أعلم مِنْهُم، من أجل أَنهم أَصْحَاب كتاب، فَدَعَاهُمْ الرَّسُول – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – إِلَى أَن يسْأَلُوا من يقرونَ بِأَنَّهُم أعلم مِنْهُم: هَل

**يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** "[التوبة:43] قَالَ ابْنُ فَوْرِكٍ: مَعْنَاهُ وَسَّعَ اللَّهُ عَنْكَ عَلَى وَجْهِ الدُّعَاءِ وَ **"لِمَ أَذِنْتَ لَهُم**" تَغْلِيظٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عِتَابٌ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ،[1] وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَقَوْلِهِ:" **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**" [يونس:94]،وقوله:"**عَبَسَ وَتَوَلَّى**" [عبس:1] قِيلَ: إِنَّهُ أُمَيَّةُ وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى دُونَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَلَّا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقِلْ: "عَبَسْتَ"،وَقَوْلِهِ: " **لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** "**[الزمر:65]**

وَقَوْلِهِ:"**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**"[البقرة:145]

وَبِهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ الْمَشْهُورُ فِي أَنَّهُ كَيْفَ يَصِحُّ خِطَابُهُ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَعَ ثُبُوتِ عِصْمَتِهِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَيُجَابُ أَيْضًا بِأَنَّ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ، وَالْمُحَالُ يَصِحُّ فَرْضُهُ لِغَرَضٍ ،وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ هَذَا وَنَحْوَهُ مِنْ بَابِ خِطَابِ الْعَامِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ شَخْصٍ معين والمعنى اتِّفَاقُ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ عَلَى ذَلِكَ وَيُسْتَرَاحُ حِينَئِذٍ مِنْ إِيرَادِ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ أَصْلِهِ

---

بعث الله رَسُولا من بعد مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَام؟[ **ينظر: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن المؤلف: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (المتوفى: 345هـ)المحقق: حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية/ المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2002م]**

1)وقد حمل الإمام الطبري هذا اللوم على ظاهره ،فقال :" وهذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتبٌ به نبيَّه صلى الله عليه وسلم في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين،يقول جل ثناؤه: (عفا الله عنك) ، يا محمد، ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذي استأذنوك في ترك الخروج معك، وفي التخلف عنك، من قبل أن تعلم صدقه من كذبه "[جامع البيان :ج14 ص272]

وَعَكْسُ هَذَا أَنْ يَكُونَ الخطابُ عَامًّا وَالْمُرَادُ الرَّسُولُ قَوْلُهُ: "**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**"[الأنبياء:10] بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي سِيَاقِهَا:" **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** " [يونس:99].....

**<u>التاسع عشر: خِطَابُ الِاعْتِبَارِ</u>**

كَقَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ صَالِحٍ لَمَّا هَلَكَ قَوْمُهُ: " **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** "**[الأعراف:79]** خَاطَبَهُمْ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ إِمَّا لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَهْلِ بَدْرٍ وَقَالَ: "وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ"[1] وَإِمَّا لِلِاعْتِبَارِ كَقَوْلِهِ:"**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** "**[النمل:69]**. [2]

**<u>العشرون: خِطَابُ الشَّخْصِ ثُمَّ الْعُدُولُ إِلَى غَيْرِهِ</u>**

كقوله: " **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ** "[هود:14] [3]الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثُمَّ قَالَ لِلْكُفَّارِ: " **فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [هود:14]** " بدليل قوله: " **فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** "،وقوله: " **ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا"[النساء :3]**

---

1)أخرج الإمام البخاري بسنده عن حَدَّثَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أَهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ»، (أهل القليب) قتلى المشركين يوم بدر والقليب البئر قبل أن تبنى جوانبه. (ما وعد ربكم) من العذاب على كفركم. (فقيل له) القائل هو عمر رضي الله عنه]كتاب:"الجنائز"،باب:"ما جاء في عذاب القبر"ج2 ص98

2)وَقِيلَ: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهَا: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ، وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي فأخذتهم الرجفة.[ينظر:معالم التنزيل:البغوي ج2 ص207]

3)حيث كان الخطاب في الآية السابقة للرسول –صلى الله عليه وسلم–وذلك بقوله تعالى أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13)

**الحادي والعشرون: خِطَابُ التَّلْوِينِ**

وَسَمَّاهُ الثَّعْلَبِيُّ الْمُتَلَوِّنُ كقوله تعالى" **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** "[الطلاق:1] "**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى**" [طه:49]،وَتُسَمِّيهِ أَهلُ الْمَعَانِي الِالْتِفَاتَ.

**الثاني والعشرون: خِطَابُ الْجَمَادَاتِ خِطَابُ مَنْ يَعْقِلُ**

**كَقَوْلِهِ تَعَالَى:"فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"[فصلت:11]** " تَقْدِيرُهُ: طَائِعَةٌ[1]

وَقِيلَ: لَمَّا كَانَتْ مِمَّنْ يَقُولُ وَهِيَ حَالَةُ عَقْلٍ جَرَى الضَّمِيرُ فِي "**طَائِعِينَ**"عليه كقوله:"**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" [يوسف:4]**

وَقَدِ اخْتُلِفَ –أَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ حَقِيقَةٌ بِأَنْ جَعَلَ لَهَا حَيَاةً وَإِدْرَاكًا يَقْتَضِي نُطْقَهَا أَوْ مجازا بمعنى ظَهَرَ فِيهَا مِنَ اخْتِيَارِ الطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ بِمَنْزِلَةِ هَذَا الْقَوْلِ– عَلَى قَوْلَيْنِ:

---

1 )ذكر الشيخ الشنقيطي في تفسير هذه الآية:" قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"،لَا يَخْفَى مَا يَسْبِقُ إِلَى الذِّهْنِ مِنْ مُنَافَاةِ هَذِهِ الْحَالِ وَصَاحِبِهَا، لِأَنَّهَا جَمْعٌ مُذَكَّرٌ عَاقِلٌ وَصَاحِبُهَا ضَمِيرُ تَثْنِيَةٍ لِغَيْرِ عَاقِلٍ، وَلَوْ طَابَقَتْ صَاحِبَهَا فِي التَّثْنِيَةِ حَسَبَ مَا يَسْبِقُ إِلَى الذِّهْنِ، لَقَالَ: أَتَيْنَا طَائِعَتَيْنِ،**وَالْجَوَابُ** عَنْ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:**أَحَدُهُمَا** وَهُوَ الْأَظْهَرُ عِنْدِي، أَنَّ جَمْعَهُ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعٌ وَالْأَرْضِينَ كَذَلِكَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [65 \ 12] ، فَالتَّثْنِيَةُ لَفْظِيَّةٌ تَحْتَهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَرْدًا.وَأَمَّا إِتْيَانُ الْجَمْعِ عَلَى صِيغَةِ جَمْعِ الْعُقَلَاءِ، فَلِأَنَّ الْعَادَةَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ غَيْرُ الْعَاقِلِ بِصِفَةٍ تَخْتَصُّ بِالْعَاقِلِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [12 4] ، لَمَّا كَانَ السُّجُودُ فِي الظَّاهِرِ مِنْ خَوَاصِّ الْعُقَلَاءِ أَجْرَى حُكْمَهُمْ عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ لِوَصْفِهَا بِهِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ [26 \ 71 – 73] . "[دفع إيهام الاضطراب عن كتاب الله ج1 ص204]

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: والأول أحسن لأنه لاشيء يَدْفَعُهُ وَالْعِبْرَةُ فِيهِ أَتَمُّ وَالْقُدْرَةُ فِيهِ أَظْهَرُ،ومنه قوله تعالى" **يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ** ": فَأَمَرَهَا كَمَا تُؤْمَرُ الْوَاحِدَةُ الْمُخَاطَبَةُ الْمُؤَنَّثَةُ، لِأَنَّ جميع مالا يَعْقِلُ كَذَلِكَ يُؤْمَرُ.[1]

**الثالث والعشرون: خِطَابُ التَّهْيِيجِ**

كَقَوْلِهِ: " **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** "[المائدة:23] وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ يَنْتَفِي عَنْهُمُ الْإِيمَانُ بَلْ حَثٌّ لَهُمْ عَلَى التَّوَكُّلِ ،وَقَوْلِهِ: **"فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** "[التوبة:13]

وقوله: " **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** "**[البقرة:278]** فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ عِنْدَ الْخِطَابِ ثُمَّ قَالَ: " **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**" فَقَصَدَ حَثَّهُمْ عَلَى تَرْكِ الرِّبَا وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ.

وَقَوْلِهِ:" **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**" [الأنفال:1]

وَقَوْلِهِ: "**وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ [يونس:84]**، وَقَوْلِهِ:" **إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" [الأنفال:41]،وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: "إِنْ" هَاهُنَا بِمَعْنَى: "إِذْ".

**الرابع والعشرون: خِطَابُ الْإِغْضَابِ**

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الممتحنة:9]** وقوله تعالى: " **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا "[الكهف:50]**

---

1)ينظر:المحرر الوجيز:ج5 ص7

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: " **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**"**[النساء:89]**

**<u>الخامس والعشرون: خِطَابُ التَّشْجِيعِ وَالتَّحْرِيضِ</u>**

وَهُوَ الْحَثُّ عَلَى الِاتِّصَافِ بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ" [الصف:4] وَكَفَى بِحَثِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَشْجِيعًا عَلَى مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ وَمُبَاشَرَةِ الطِّعَانِ.**

وقوله تعالى: " **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) [آل عمران:125]**

وقوله تعالى: " **وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** "**[الأنفال:16]**

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ لِلْقَوْمِ صَبْرٌ وَالْمَلِكُ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ وَعَدَهُمْ بِالْمَدَدِ الْكَرِيمِ فَقَالَ: " **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران:126]**" وقوله تعالى: " **فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" [النساء:104]**

وَقَدْ جَاءَ فِي مُقَابَلَةِ هَذَا الْقَسْمِ مَا يُرَادُ مِنْهُ الْأَخْذُ بِالْحَزْمِ وَالتَّأَنِّي بِالْحَرْبِ وَالِاسْتِظْهَارُ عَلَيْهَا بِالْعُدَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[البقرة:195]**وَقَوْلِهِ تَعَالَى: " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**"[الأنفال:60]

وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ مَا جَاءَ فِي قَصَصِ الْأَشْقِيَاءِ تَحْذِيرًا لِمَا نَزَلَ مِنَ الْعَذَابِ وَإِخْبَارًا لِلسُّعَدَاءِ فِيمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ.

**السادس والعشرون: خِطَابُ التَّنْفِيرِ**

كقوله تعالى: **"وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ "[الحجرات:12]** فَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَوْصَافًا وَتَصْوِيرًا لِمَا يَنَالُهُ الْمُغْتَابُ مِنْ عِرْضِ مَنْ يَغْتَابُهُ عَلَى أَفْظَعِ وَجْهٍ، وَفِي ذَلِكَ مَحَاسِنُ كَالِاسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ وَجَعْلِ مَا هُوَ الْغَايَةُ فِي الْكَرَاهَةِ مَوْصُولًا بِالْمَحَبَّةِ وَإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى "أحدكم" وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يُحِبُّ ذَلِكَ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى تَمْثِيلِ الِاعْتِبَارِ بِأَكْلِ لَحْمِ الْإِنْسَانِ حَتَّى جَعَلَهُ أَخًا وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى لَحْمِ الْأَخِ حَتَّى جَعَلَهُ مَيْتًا وَهَذِهِ مُبَالَغَاتٌ عَظِيمَةٌ وَمِنْهَا أَنَّ الْمُغْتَابَ غَائِبٌ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الدَّفْعِ لِمَا قِيلَ فِيهِ فَهُوَ كَالْمَيِّتِ.

**السابع والعشرون: خطاب التحنن والاستعطاف**

كقوله تعالى: **"قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا "[الزمر:53]**

**الثامن والعشرون: خطاب التحبيب**

نحو:**"يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا "[مريم:42]**

**" يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ "[لقمان:16]**

**"قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي "[طه:94]** ،وَمِنْهُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ"[1]

---

1)أخرج الإمام الترمذي في سننه برقم(3514) عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ."وقال الترمذي:"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَدْ سَمِعَ مِنَ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ."ج5 ص417

**التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ التَّعْجِيزِ**

نَحْوُ:" **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** [البقرة:23]،" **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" [الطور:34]**

**قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [هود:13]، قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168"[آل عمران :168]**

**الثلاثون: التَّحْسِيرُ وَالتَّلَهُّفُ**

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" **قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"[آل عمران:119]**

**الحادي والثلاثون: التَّكْذِيبُ**

نَحْوُ قَوْلِهِ: **"كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "[آل عمران:93]** ،قوله تعالى" **قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** "[الأنعام:150]

**الثاني والثلاثون: خِطَابُ التَّشْرِيفِ**

وَهُوَ كُلُّ مَا في القرآن العزيز مخاطبة بـ"قل" كالقلاقل وكقوله: " **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ** "[آل عمران:84] وَهُوَ تَشْرِيفٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنْ يخاطبها بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ لِتَفُوزَ بِشَرَفِ الْمُخَاطَبَةِ إِذْ لَيْسَ مِنَ الْفَصِيحِ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِ قَالَ لِي الْمُرْسِلُ قُلْ كَذَا وَكَذَا ،وَلِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِسْقَاطُهَا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بقاؤها ولا بدلها مِنْ فَائِدَةٍ فَتَكُونُ أَمْرًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ لِلْمُتَكَلَّمِ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَمْرَهُ شِفَاهًا بِلَا وَاسِطَةٍ كَقَوْلِكَ لِمَنْ تُخَاطِبُهُ افْعَلْ كَذَا.

## الفصل التاسع: إعجاز القرآن الكريم.

**تمهيـد:**

قد جرت حكمة الله الأزلية، أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات، والدلائل الواضحات، والحجج والبراهين الدامغة، التي تدل على صدقهم، وعلى أنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير.

وقد خص الله تبارك وتعالى: نبينا محمدًا ﷺ بالمعجزة العظمى (القرآن الكريم)، ذلك النور الرباني، والوحي السماوي الذي ألقاه على قلب نبيه، قرآناً عربياً غير ذي عوج، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، والذي أحيا به أجيالاً من العدم، كانت في عداد الموتى، فأحياها الله بنور هذا القرآن، وهداها أقوم طريق، فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله حيث يقول:( **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الأنعام: 122].

ولئن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزات"حسية"، تتناسب مع العصر والزمان، الذي بعثوا فيهما، كمعجزة (موسى) عليه السلام، حيث كانت (اليد والعصا)؛ لأنه بعث في زمن كثر فيه السحرة، واشتهر فيه السحر، وكذلك معجزة (عيسى) عليه السلام، حيث كانت بإحياء الموتى، وإبراء الأكْمَه[1]. والأبرص، والإخبار عن بعض المغيبات؛ لأنه بعث في عصر، كثر فيه الطب والحكمة، وظهر فيه الأطباء البارعون، فأتاهم عيسى بن مريم عليه السلام، بما أدهشهم وأعجزهم من شفاء المرضى، وإحياء الموتى وإبراء العمي والبكم والصم[2].

**أقول:** إذا كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات (مادية حسية) [3]، فإن معجزة محمد بن عبدالله معجزة (روحية عقلية) وقد خصه الله بالقرآن، معجزة العقل الباقي على

---

(1) أي: الأعمى، قال تعالى: ( وأبرئ الأكمه والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله )[آل عمران: 49].

(2) ينظر في الحديث عن بعض معجزات النبي، ρ: جامع البيان للطبري،51/12،تفسير ابن كثير 4/ 427، صحيح البخاري، باب: انشقاق القمر، ح 3656، فتح الباري، لابن حجر،، لابن حجر، 41/9، في قوله تعالى: ( **اقتربت الساعة وانشق القمر)**، والترمذي، باب: مناقب أبي هريرة، ح 4003، وقال: حسن غريب (تكثير التمر لأبي هريرة) وغيرها .

(3) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص22، فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، ص13.

الزمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر، فقد ورد عن سيد المرسلين أنه قال:" ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا، أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"[1].

## المبحث الأول: تعريف الإعجاز وإثباته.

### المطلب الأول : تعريف الإعجاز:

**الإعجاز**: إثبات العجز، والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز، ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: **إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة – وهي القرآن –وعجز الأجيال بعدهم**[2].

**والمعجزة:** أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، دال على صدق مدعى النبوة. وسميت معجزة؛ لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها[3].

وهناك فرق بين الكرامة والمعجزة، فالكرامة هي: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه، معونة له على أمر ديني أو دنيوي[4]، وتكون على يد بعض الصالحين، من الملتزمين بأحكام الشريعة إكراما لهم من الله عز وجل، ولا عصمة لصاحب الكرامة[5].

والقرآن الكريم تحدى به النبي ﷺ العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزا.

**فقد ثبت أن الرسول ﷺ تحدى العرب بالقرآن على ثلاث مراحل:**

أ- تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديا، يظهر على طاقتهم مجتمعين، بقوله تعالى:( **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ**

---

(1) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، 182/6، ح4696 .

(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 4/ 232، لسان العرب، لابن منظور،، ابن منظور،369/5 .

(3) ينظر: الإتقان، للسيوطي، 116/2.

(4) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية،349/1.

(5) ينظر: مقدمة في إعجاز القرآن، د.مروان وحيد شعبان، ص39.

**عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** )[الإسراء: 88].

ب- ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: **(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** [هود: 13- 14].

ج-ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله تعالى**( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** [يونس: 38].

وعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر الدواعي، عجز للغة العربية في ريعان شبابها وعنفوان قوتها.

والإعجاز لسائر الأمم على مرّ العصور، ظل ولا يزال في موقف التحدي شامخ الأنف، فأسرار الكون التي يكشف عنها العالم الحديث، ما هي إلا مظاهر للحقائق العليا التي ينطوي عليها سر هذا الوجود في خالقه ومدبره، وهو ما أجمله القرآن، أو أشار إليه_ فصار القرآن بهذا معجزا للإنسانية كافة.

**والإعجاز لا يتحقق إلا إذا توافرت أمور ثلاثة:**

أ- الأول: التحدي، أي: (طلب المباراة والمعارضة).

ب- الثاني: أن يكون الدافع إلى رد التحدي قائما.

ج- الثالث: أن يكون المانع منتفيا.

**المطلب الثاني: أنواع التحدي[1]:**

**والتحدي الذي جاء في القرآن الكريم كان على نوعين:**

1. التحدي العام.
2. التحدي الخاص.

**أما الأول:** فقد ورد لجميع الخلائق بما فيهم الفلاسفة، والعباقرة، والعلماء، والحكماء، وجاء لجميع البشر دون استثناء، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم،

(1) تنظر المسألة في: فتح القدير للشوكاني،644/2، تفسير المراغي، 143/14، مباحث في إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص32، المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو، ص33.

قال تعالى﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[ [الإسراء: 88].

**أما الثاني:** (التحدي الخاص) فقد جاء للعرب خاصة، وعلى الأخص منهم –كفار قريش– وقد ورد هذا التحدي على نوعين أيضا:

1. **تحدي كلي:** وهو التحدي بجميع القرآن، في أحكامه، وروعته، وبلاغته، وبيانه.
2. **تحدي جزئي:** وهو التحدي بمثل سورة من سور القرآن الكريم، ولو من أقصر سورة كسورة الكوثر.

## المبحث الثاني: شروط المعجزة الإلهية.

وللمعجزة شرائط خمسة، نبه عليها العلماء، فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

1. **الشرط الأول:** أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى.
2. **الشرط الثاني:** أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية.
3. **الشرط الثالث:** أن يستشهد بها مدعي الرسالة على صدق دعواه.
4. **الشرط الرابع:** أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة.
5. **الشرط الخامس:** ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة[1].

فهذه الشروط الخمسة، إن تحققت، كان الأمر الخارق للعادة معجزة دالة على نبوة صاحب الدعوى التي ظهرت المعجزة على يده، وإن لم تتحقق خرجت عن كونها معجزة، ولم تدل على صدق صاحب الدعوى.

***أما الشرط الأول:** فإنه لو أتى آت – في زمان يصح فيه مجيء الرسل – وادعى الرسالة وجعل معجزته أن يقوم ويقعد، ويأكل ويشرب، ويتحرك من مكان إلى مكان، لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة، ولا دالا على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر، وانشقاق القمر، وإحياء الموتى،...إلى آخره.

***وأما الثاني:** وهو خرق العادة، فلو قال المدعي للنبوة: معجزتي أن تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب، وأن يأتي النهار بعد الليل، لم يكن فيما ادعاه معجزة،

---

(1) ينظر: مقدمة في إعجاز القرآن، د . مروان وحيد شعبان، ص38، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 382/7، شرح المواقف للجرجاني،8/ 223 .

لأن هذه الأمور وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، لكنها لم تفعل من أجله، وقد كانت من قبله، فليس فيها دلالة على صدقه.

***وأما الثالث:** وهو أن يستشهد بها مدعي النبوة، وتحصل عند طلبها تصديقا لدعواه، فلو ادعى إنسان أن معجزته، أن ينقلب الجماد إلى حيوان أو إنسان، ولم ينقلب لا يدل على صدق دعواه.

***وأما الرابع:** وهو أن تقع المعجزة على وفق الدعوى، لا على خلافه؛ لأنها حينذاك تكون تكذيبا له، روي أن (مسيلمة الكذاب) – لعنه الله – طلب منه أصحابه أن يتفل في بئر، ليكثر فيها الماء، فغارت البئر، فدل على كذبه[1].

**وأما الخامس:** ألا تعارض المعجزة، فإن عورضت، بطل كونها معجزة، ولم تدل على صدق صاحبها، فلو استطاع أحد فلق البحر أو شق القمر، لم تعد معجزة، ولهذا قال تعالى: في خطاب المشركين( **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)** [الطور: 34].

**المبحث الثالث: بم كان إعجاز القرآن؟**

القرآن العظيم كلام الله المعجز للخلق، في أسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة. ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان عن إعجاز القرآن، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، وقد أجمع أهل العربية قاطبة، وأهل اللسن منهم والبيان، على أن القرآن (معجز بذاته ) أي: أن إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد، الذي لا يشابهه فيه أسلوب، لا من نثر، ولا من شعر، ومسحته اللفظية الخلابة، التي تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي، وبراعته الفنية.

**مذهب أهل الصّرفة:**

وقد ذهب بعض المعتزلة منهم (أبو إسحاق النظّام ) إلى أن إعجاز القرآن إنما كان بـ (الصّرفة)، بمعنى أن الله عز وجل، صرف البشر عن معارضة القرآن، مع قدرتهم عليها، وخلق فيهم العجز عن محاكاته في أنفسهم وألسنتهم، ولولا أن الله صرفهم عن ذلك لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.

---

(1) ينظر: تفسير القرطبي 70/1.

يقول (مصطفى الرافعي) رحمه الله[1]: وقد اختلفت آراء المعتزلة في وجه إعجاز القرآن، فذهب شيطان المتكلمين (أبو إسحق النظام) إلى أن الإعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقًا للعادة وقال (المرتضى من الشيعة): بل معنى الصّرفة، أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة، ليجيئوا بمثل القرآن.. فكأنه يقول: إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب، ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم، ولا كان العلم في زمنهم.. وهذا رأي بيّن الخلط كما ترى!

ثم قال: وعلى الجملة، فإن القول بالصّرفة لا يختلف عن قول العرب فيه:( **إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ)** [المدثر: 24]، وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذبهم فيه، وجعل القول به ضربًا من العمى :( **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)** [الطور: 15].

وعلى ذلك المذهب الفاسد، يمكن أن يقال: إن المعجز ليس هو القرآن الكريم على حد زعمهم إنما هو (الصّرفة) التي بسببها عجزوا عن الإتيان بمثله:( **صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** )[التوبة: 127].

**دفع شبهة القول بالصّرفة[2]:**

إن أصحاب هذا القول يذهبون إلى أن القرآن ليس معجزًا بذاته، وإنما كان إعجازه بسبب أمرين:

**الأول:** الصارف الإلهي الذي زهدهم في المعارضة، فكسلوا وقعدوا.

**الثاني:** العارض المفاجئ الذي عطل مواهبهم البيانية وقدرتهم البلاغية.

**وهذا القول – بشقيه – باطل، لا يثبت أمام البحث، ولا يتفق مع الواقع وذلك لعدة أسباب:**

**أولاً:** لو كان هذا القول صحيحًا، لكان الإعجاز في (الصّرفة) لا في القرآن نفسه، وهذا باطل بالإجماع.

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص164. وتنظر المسألة في: الإتقان، للسيوطي، 314/2، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 95/2، المعجزة الكبرى للعلامة محمد أبي زهرة، ص39، مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري،296/1، الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي، ص131–133.

(2) **تنظر المسألة في:** المعجزة الكبرى، أبو زهرة، ص83، وما بعدها، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي، ص274، مناهل العرفان، للزرقاني، 302/2.

**ثانيًا:** لو صح القول بالصّرفة، لكان ذلك (تعجيزًا) لا (إعجازًا)؛لأنه حينئذ يشبه ما لو قطعنا لسان إنسان ثم كلفناه بعد ذلك بالكلام، فهذا ليس من باب العجز، وإنما هو من باب التعجيز.

**ثالثًا:** لو كان هناك صارف زهدهم في المعارضة من (كسل أو ملل)، لما وقفوا في وجه نبي الإسلام، ولما آذوه وأصحابه، ولما عذبوا المسلمين وشردوهم، ولما قاطعوا الرسول وعشيرته وحاصروهم في الشعب،حتى أكلوا ورق الشجر، ولما فاوضوه وساوموه على أن يترك الدعوة ثم اضطروه إلى الهجرة هو وأصحابه الكرام، إلى غير ما هنالك من دوافع وبواعث، جعلتهم يسلكون كل سبيل للقضاء على الإسلام.

**رابعًا:** لو كان هناك عارض مفاجئ،عطل مواهبهم البيانية، لأعلنوا ذلك في الناس، ليلتمسوا العذر لأنفسهم، وبالتالي ليقللوا من شأن القرآن، ولكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله، وهذا باطل واضح البطلان.

**خامسًا:** لو كان هذا العارض المفاجئ صحيحًا؛ لأمكننا نحن الآن، وأمكن المشتغلين بالأدب العربي في كل عصر، أن يعارضوا القرآن، وأن يتبينوا الكذب في دعوى إعجازه، وكل هذه الأشياء باطلة، فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله: إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبي القرآن، وأنهم كانوا مخلدين إلى العجز والكسل، زاهدين في النزول لذلك الميدان؟!

وهل يصح لإنسان يحترم نفسه وعقله أن يصدق بمثل هذا الافتراء القول (بتعطيل المواهب والحواس) بعد أن يستمع إلى شهادة ألدّ الأعداء من صناديد قريش وهو (الوليد بن المغيرة) حيث قال كلمته المشهورة: (والله لقد سمعت آنفا كلامًا ليس من كلام بشر، ليس بشعر ولا نثر ولا كهانة، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه) والفضل ما شهدت به الأعداء.

## المبحث الرابع: وجوه إعجاز القرآن الكريم[1]

### آراء العلماء في الإعجاز:

**بعد أن أجمع العلماء على إعجاز القرآن بذاته، وعلى عدم استطاعة أحد من البشر الإتيان بمثله، اختلفت آراؤهم في وجه إعجاز القرآن على آراء:**

أ) يرى بعضهم: أن وجه الإعجاز في القرآن، هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم، في مطالعه، ومقاطعه، وفواصله.

ب)ويرى البعض الآخر: أن وجه الإعجاز، إنما يكمن في فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وجودة سبكه، إذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها.

ت)ويرى آخرون أن الإعجاز في خلوه من التناقض، واشتماله على المعاني الدقيقة، والأمور الغيبية التي ليست بمقدور البشر، ولا في استطاعتهم معرفتها، كما أنه سليم من التناقض والتعارض.

ث)وهناك من يقول: إن وجه الإعجاز هو ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة، في الفواتح، والمقاصد، والخواتيم في كل سورة، والمعول عليه عندهم ما يلي:

1-الفصاحة في الألفاظ.

2-البلاغة في المعاني.

3-صورة النظم البديع.

وهذه الأقوال كلها لا تخرج عن دائرة واحدة هي (الدائرة البيانية) التي امتاز بها القرآن، وهي وإن كانت حقًا إلا أن إعجاز القرآن ليس في (الفصاحة والبلاغة) فحسب، بل هناك وجوه أخرى لإعجاز القرآن.

وقد أجاد العلامة (القرطبي) رحمه الله، فعدّ عشرة وجوه لإعجاز القرآن، كما ذكر فضيلة الشيخ (الزرقاني) في كتابه (مناهل العرفان) أربعة عشر وجهًا من وجوه الإعجاز، ومنها ما ذكره القرطبي ومنها ما لم يذكره، ونحن نذكر هذه الوجوه بالإيجاز، ثم نعقبها بشيء من التفصيل:

---

**(1) تنظر المسألة في: إعجاز القرآن للباقلاني،ص62-71، الشفاء للقاضي عياض، ص156-168، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد، القرطبي، ص329-334، أعلام النبوة للماوردي، ص126-152 .**

**وجوه إعجاز القرآن الكريم:**

**أولاً:** النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.

**ثانيًا:** الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.

**ثالثًا:** الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.

**رابعًا:** التشريع الدقيق الكامل، الذي يبز كل تشريع وضعي.

**خامسًا:** الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي.

**سادسًا:** عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.

**سابعًا:** الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.

**ثامنًا:** العلوم والمعارف التي اشتمل عليها (العلوم الشرعية والعلوم الكونية).

**تاسعًا:** وفاؤه بحاجات البشر.

**عاشرًا:** تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء.

**أما الوجه الأول** من وجوه إعجازه فهو (النظم البديع) المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، فالقرآن الكريم لا يشبهه شيء في نظمه، لا من شعر ولا من نثر، وذلك بشهادة أساطين البلاغة، وأئمة الفصاحة والبيان، (الوليد بن المغيرة) و (عتبة بن ربيعة) وغيرهما من فصحاء العرب ومشاهيرهم.

**أما الوجه الثاني** لإعجاز القرآن: فهو (الأسلوب العجيب) المخالف لجميع الأساليب العربية، فقد جاء القرآن بذلك الأسلوب الرائع الخلاب، الذي بهر العرب برونقه وجماله، وعذوبته وحلاوته، وقد كانت فيه من الخصائص العليا ما لم توجد في كلام بشر على نحو ما وجدت في القرآن، خصوصًا وأن النبي ﷺ تحدّى به فأعجز أساطين الفصحاء، وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان، وذلك في عصر، كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان، وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق.

**أما الوجه الثالث** من وجوه الإعجاز، ذلك الإيجاز الرائع، والجزالة الخارقة التي ليس بإمكان مخلوق من البشر أن يحيط بها أو يأتي بمثلها لأنها فوق الطاقة البشرية، والقدرة الإنسانية.

لقد كان البدوي، راعي الغنم، يسمع القرآن، فيخر ساجدا لله رب العالمين، وذلك لروعة هذا الكتاب المجيد، ولما يفعل به في نفوس السامعين، وهو دليل رقة الإحساس، ولطف الشعور من أولئك الرعاة الجفاة.

يروى أن (الأصمعي) خرج ذات يوم فلقي جارية، وسمعها تنشد أبياتا من الشعر رائعة، فأعجب بتلك الأبيات وهزت منه النفس والقلب، بجمال أسلوبها، وروعة بيانها، وفصاحة ألفاظها، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؟! فقالت له: ويحك أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى:

**(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [القصص: 7]، ثم قالت له: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين[1].

فالآية الكريمة جمعت بين أمرين وهما:**(أرضعيه)** و **(ألقيه في اليم)** ونهيين وهما:**(ولا تخافي)** و **(ولا تحزني)** وخبرين وهما: **(أوحينا)** و **(خفت)** وبشارتين وهما: **(إنا رادوه إليك)** و **(وجاعلوه من المرسلين)**، فالبشارة الأولى برده إليها سليما كريما، والبشارة الثانية وهي أن الله سبحانه وتعالى سيجعله رسولا هاديا.

فانظر – رعاك الله – كيف أدركت هذه الجارية البدوية، بفطرتها العربية، سرا من أسرار هذا القرآن، فكأن الآية نظمت في عقد من اللؤلؤ والمرجان فكانت لآلئها بميزان.

**وأما الوجه الرابع** من وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك التشريع الإلهي الكامل، الذي يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر في القديم والحديث، فالقرآن الكريم هو الذي وضح أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع الاقتصادي والسياسي والمدني والاجتماعي، وهو الذي نظم حياة الأسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادئ الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في القرن العشرين ألا وهي (المساواة، العدالة، الحرية) إلى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع، الذي تسعى إليه المدنية الحديثة.

وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم، وأعظمها خطرًا على مستقبل الفرد والجماعة، ووضع لكل منها عقوبات مقدرة، لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها،

---

**(1) ذكرها القرطبي في تفسيره، 252/13.**

أو التساهل في تطبيقها، وترك ما سوى ذلك من (الجرائم الخفيفة) للحاكم المسلم، ينفذ فيها ما يراه من العقوبة، على ضوء السنة النبوية المطهرة، وبالشكل الذي يحقق روح الإسلام من إرادة الخير للناس، وتطهير المجتمع من المفاسد والمظالم الاجتماعية.

أما الجرائم الكبيرة التي عين لها القرآن عقوبات رادعة فهي خمسة (جريمة القتل، جريمة الزنى، جريمة السرقة، جريمة قطع الطريق، جريمة الاعتداء على كرامة الناس بالقذف).

ولعل أروع مثل للمقارنة بين (التشريع الإلهي القرآني) وبين (التشريع الوضعي) الذي هو من صنيع البشر، ذلك الأثر العظيم الذي تركه القرآن الكريم في نفوس العرب بسبب تلك الطريقة الحكيمة التي سلكها في معالجة المفاسد والأمراض الاجتماعية، حيث قضى على كل فساد، واستأصل كل جريمة من نفوسهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فملكوا الدنيا وسادوا العالم.

**والوجه الخامس** من وجوه إعجاز القرآن الكريم (إخباره عن المغيبات)، وذلك برهان ساطع، ودليل قاطع،على أن هذا القرآن ليس من كلام بشر، إنما هو كلام علاّم الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية، ولو كان من صنع محمد – كما زعموا – لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية، بوقوعها على خلاف ما أخبر، ولافتضح أمره بالكذب الصريح، وحاشاه ﷺ من الكذب على الله.

أ- **فمن هذه الأخبار الغيبية**، إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وستكون الغلبة فيها والانتصار للروم، بعد أن انكسروا في الحرب السابقة وذلك في قوله تعالى:( **الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)** ) [الروم: 1-5].

يقول الزمخشري: وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

ب- التنبؤ بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى:( **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)** [التوبة: 33].

وكذلك التنبؤ بالمستقبل الباسم الذي سيكون للمؤمنين وذلك في قوله تعالى:( **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)** [النور:55].

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي، فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكن المسلمين في الأرض في حياة النبي ﷺ.

ولم يبق جزء منها، إلا دان للمسلمين بالطاعة، ومن لم يدخل في الإسلام، دخل في ذمة المسلمين، وخضع لسلطانهم، ودفع الجزية لهم، ثم سار أصحابه من بعده إلى أرض كسرى وأرض هرقل، فأزالوا دولة الفرس، ودولة الرومان، ولم يمض قرن من الزمان حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فصارت تمتد من بحر الظلمات في المغرب إلى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم، وكان وعد الله مفعولا.

وهذا أمر خارق للعادة، فكان وجهًا من وجوه الإعجاز؛لأن مثله لا يتفق إلا بإخبار من عند الله جل وعلا، ولا يغيب عن بالنا أن جميع القصص الذي جاء في القرآن الكريم، هو من باب الإخبار عن غيوب الماضي، الذي أطلع الله رسوله الكريم عليه، وما كان له علم بها.

**والوجه السادس** من وجوه إعجاز القرآن، تلك الإشارات الدقيقة إلى بعض العلوم الكونية التي سبق إليها القرآن قبل أن يكشفها العلم الحديث، ثم عدم تعارضه مع ما يكشفه العلم من نظريات علمية حديثة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الناحية من نواحي الإعجاز بقوله جل شأنه:( **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** [فصلت: 53].

وقد عرف هذه الوجه في عصرنا الحديث بمسمى الإعجاز العلمي، واعتنى به العلماء كثير، وهو يهتم بدراسة الآيات التي فيها إشارة إلى قضايا تتعلق بالطب، أو بالفلك أو النبات والحيوان، وغيرها .

ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة أو فيزياء، وإنما هو كتاب (هداية وإرشاد) وكتاب (تشريع وإصلاح)، ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة، والحقائق الخفية، إلى بعض المسائل الطبيعية، والطبية، والجغرافية، مما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحيًا من عند الله، فمن المقطوع به أن محمدا ﷺ، كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره، ولم يكتشف العلم أسرارها إلا منذ زمن قريب، وذلك من أصدق البراهين على أن هذا القرآن، ليس من تأليف محمد ﷺ – كما يزعم بعض المستشرقين – إنما هو وحي من الله، أنزله على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين.

**الوجه السابع من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم** (الوفاء بالوعد) في كل ما أخبر عنه، وفي كل ما وعد الله سبحانه عباده به، وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين: وعد مطلق، كوعده بنصر رسوله، ونصر المؤمنين على الكافرين. ووعد مقيد كشرط التقوى وشرط الصبر كقوله تعالى: **(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)** [الطلاق:2– 3].

**الوجه الثامن من وجوه إعجاز القرآن، هذه العلوم والمعارف** التي زخر بها القرآن الكريم.

إن القرآن قد جاء بالعلوم المتنوعة، والمعارف المتعددة، في العقائد، والعبادات والتشريع والتنظيم، وفي الأخلاق والمعاملات، وفي حقول شتى: في التربية والتعليم، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الفلسفة والاجتماع، وكذلك في القصص والأخبار، وفي أصول المناظرة والجدل. ولا شك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فكيف يستطيع رجل أمي أن يأتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم والمعارف تحقيقًا وكمالاً، مؤيدًا بالحجج والبراهين، بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئًا عنها، ولم ينطق بقاعدة أو أصل منها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون وحيًا من الله تعالى؟

**الوجه التاسع من وجوه إعجاز القرآن (وفاؤه بحاجات البشر)** وهذا الوجه من وجوه الإعجاز ظاهر جلي، يدركه كل متأمل في شريعة الإسلام، فقد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة، شاملة واسعة، تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان، ويتجلى

ذلك إذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته وإرشاده وهي بإيجاز:

1- إصلاح الأفراد. 2- إصلاح المجتمعات.
3- إصلاح العقائد. 4- إصلاح العبادات.
5- إصلاح الأخلاق. 6- إصلاح الحكم والسياسة.
7- إصلاح الشؤون المالية. 8- إصلاح الشؤون الحربية.
9- إصلاح الثقافة العلمية. 10- تحرير العقول والأفكار من الخرافات.

**الوجه العاشر من وجوه إعجاز القرآن:** ذلك التأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى لقد بلغ من شدة التأثير، أن المشركين أنفسهم كانوا يخرجون في جنح الليل يستمعون إلى تلاوة القرآن من المسلمين، وحتى تواصوا فيما بينهم ألا يستمعوا إلى القرآن، وأن يرفعوا أصواتهم بالضجيج، حينما يتلوه محمد، لئلا يؤمن به الناس:( **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)** [فصلت:26].

ولقد بلغ من تأثير القرآن في القلوب، أن يفيء إلى ظلاله أشد الناس عداوة له، وأعظمهم عنادا، فيسلم كثير من هؤلاء الزعماء، وعلى رأسهم (عمر بن الخطاب) و (سعد بن معاذ) و (أسيد بن حضير) وغيرهم من القادة والرؤساء.

**الوجه الحادي عشر من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم** (سلامته من التناقض والتعارض خلافا لجميع كلام البشر)، وصدق الله حيث يقول:( **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ) [النساء:82].

هذه بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.. معجزة النبي الأمي إلى العالمين في كل زمان ومكان إلى يوم يبعثون.

## المصادر والمراجع


1. الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القرطبي المالكي (ت437هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
2. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى(911هـ)، تحقيق سعيد المندوه، دار الفكر، لبنان، ط الأولى 1416هـ 1996م.
3. الأحرف السبعة للقرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت 444هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة ط: الأولى، 1408م
4. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارس (739هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى 1407هـ –1987م
5. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص(370هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت1405هـ .
6. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي (ت923هـ)، ط المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، 1323 هـ
7. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد ابن عبد الله الشوكاني اليمني (ت1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق– كفر بطنا، دار الكتاب العربي، ط الأولى 1419هـ – 1999م
8. أسباب النزول، لأبي الحسن على بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي لنيسابوري(468هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط الأولى 1427هـ 1996م
9. الأسماء والصفات لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1413 هـ – 1993 م
10. الإصابة في معرفة الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ت (852) هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى 1412هـ 1992م.
11. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد ابن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت1356هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثامنة – 1425 هـ – 2005 م

12. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين المستشرقين لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ت(1396)هـ، ط دار العلم للملايين، ط، الخامسة عشر 2002 م
13. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى ابن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، (ت544هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط الأولى، 1379هـ - 1970م
14. الانتصار للقرآن للأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم" المعروف بالباقلاني، ط دار الفتح- عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط الأولى1422 هـ - 2001 م، تحقيق د. محمد عصام القضاة.
15. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لإمام المحققين ناصر الدين أبى سعيد عبدالله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (791هـ )، دار الفكر، بيروت
16. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم بن عبد الله ابن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت 978هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية 2004م-1424هـ
17. البحر المحيط لأبى حيان – أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن على ابن حيان الأندلسي (654هـ)، مطابع النصر الحديثة – الرياض.
18. البداية والنهاية للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(774)هـ ط مكتبة المعارف، بيروت.
19. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت(794)هـ ط، دار المعرفة، بيروت 1391هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
20. تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت(276) هـ، ط: دار الكتب العلمية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
21. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني(816هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى 1405هـ.
22. تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، تحقيق: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط الأولى: 1427 - 2006 م
23. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

24. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لعبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي(327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية، صيدا.
25. تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت211هـ)، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، سنة 1419هـ
26. التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.
27. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر(463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1387هـ.
28. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت 2001م، ط : الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.
29. التيسير في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت444هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثانية، 1404هـ، 1984م
30. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير – تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف.
31. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط الثانية 1372هـ
32. جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، لأبي طاهر عبد القيوم لعبد الغفور السندي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة
33. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
34. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، درا الفكر، بيروت1993م .
35. دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل (ت1426هـ)، دار المنار، ط الثانية 1419هـ-1999م.
36. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط الثانية عشرة 1424هـ – 2003م
37. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق د: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط الأولى1405هـ 1985م.

38. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي(1270هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.
39. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(597هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة 1404هـ.
40. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشافعي(942هـ)، تحقيق: إبراهيم الترزي، وعبد الكريم العزباوي . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
41. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: المعروف بابن ماجة (273هـ)، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، درا إحياء الكتب العربية.
42. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة الثقافية، بيروت.
43. السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي(303هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان بندار، وسيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى1411هـ 1991م .
44. شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (ت 972هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي – نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط الثانية 1418هـ – 1997 مـ
45. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد النُّوَيْري (ت857هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط الأولى، 1424 هـ – 2003 م
46. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، طالأولى 1410هـ.
47. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي(256هـ)، حققه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة 1419هـ 1998م.
48. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري(261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
49. صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية 1392هـ..
50. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى، تحقيق سليمان ابن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط الأولى1417هـ 1997م.

51. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (852هـ) تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى1419هـ 1988م.
52. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني ت(1250)هـ، دار الفكر، بيروت.
53. فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (224)هـ، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط أولى 1430هـ، 2009م.
54. القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
55. القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت1422هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط الأولى، 1404 هـ - 1984 م
56. كتاب السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ت(324) هـ، ط دار المعارف - مصر 1400هـ، ط: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف.
57. كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت316هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر الفاروق الحديثة – مصر، ط الأولى، 1423هـ - 2002م
58. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد ابن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت 1158هـ)،تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: الأولى - 1996م.
59. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل فى وجوه التأويل، لأبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ( 538هـ )، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت.
60. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيحي، المعروف بالخازن(ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، 1415 هـ
61. لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. بيروت–لبنان، دار صادر، ط الثالثة 1414 هـ.
62. مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، ط الرابعة 1426هـ - 2005م

63. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط الرابعة والعشرون كانون الثاني، يناير 2000م
64. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي(807هـ) دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت 1407.
65. مجموع فتاوى ابن تيمية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(728هـ)، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. دار الرحمة.
66. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمى، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
67. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبى محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي ( 546هـ )، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى1413هـ 1993م.
68. مختار الصحاح. لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: محمود خاطر، بيروت–لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط، 1415هـ–1995م.
69. مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي(ت496هـ)، مجمع الملك فهد – المدينة المنورة سنة1423 هـ – 2002 م
70. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، 1419 هـ – 1998 م
71. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، لمحمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب ، ط الأولى، 1426 هـ – 2005 م
72. المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت1403هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، ط الثانية، 1423 هـ – 2003 م.
73. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت665هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج،: دار صادر – بيروت1395 هـ – 1975 م
74. المستدرك على الصحيحين أبي عبد الله لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري(405)، ط دار الكتب العلمية، بيروت1411هـ – 1990م، ط: الأولى تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
75. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت885هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط الأولى 1408 هـ – 1987 م

76. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ت (770) هـ، ط: المكتبة العلمية – بيروت.
77. معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى 1420 هـ
78. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأحمد عمر أبي شوفة، دار الكتب الوطنية – ليبيا، سنة2003م.
79. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة
80. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني(502هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
81. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1399هـ – 1979م.
82. مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان1490هـ/ 1980م
83. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت444هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
84. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني، ط، دار الفكر– لبنان، ط الأولى 1416هـ 1996م.
85. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري(ت833هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1420هـ –1999م
86. الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، سنة1423هـ – 2002 م
87. موسوعة علوم القرآن، لعبد القادر محمد منصور، دار القلم العربى – حلب، ط الأولى، 1422 هـ – 2002 م.
88. موطأ الإمام مالك أبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى عالم المدينة شرفها الله ت(179)هـ، ط دار القلم، ط الثالثة 1419هـ 1999م.

89. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز (ت1377هـ) . قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م
90. النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت1380هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.
91. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم ابن عمر البقاعي ت(885هـ)هـ، ط، دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ- 1995م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.
92. نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد محمد معبد (ت1430هـ)، دار السلام – القاهرة، ط الثانية،: 1426 هـ - 2005 م
93. نواسخ القرآن لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصارى – بيروت، ط الأولى، 1422 هـ - 2001 م
94. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت1422هـ)، دار الجيل – بيروت، ط الأولى، 1417 هـ - 1997 م
95. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط الثانية، 1418 هـ - 1998 م

**الفصل الأول :المحكم والمتشابه**

**المبحث الأول:**الإحكام والتشابه بالمعنى العام

**المبحث الثاني:** الإحكام والتشابه الخاص:

**المبحث الثالث:**أقسام المتشابه

**المبحث الرابع:**حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

**الفصل الثاني:العام والخاص**

**المبحث الأول:**تعريف العام لغة واصطلاحا

**المبحث الثاني:**صيغ العموم

**المبحث الثالث** :حكم تخصيص العموم

**المبحث الرابع** :أقسام العام

**المبحث الخامس:**الفرق بين التخصيص والنسخ

**المبحث السادس:**أقسام المخصص

**الفصل الثالث: المشترك اللفظي**

**المبحث الأول:**تعريف المشترك اللفظي في اللغة والاصطلاح

**المبحث الثاني:**علاقة المشترك اللفظي بالمجمل

**المبحث الثالث:**أقوال العلماء في جواز وقوع المشترك

**الفصل الرابع: المطلق والمقيد**

**المبحث الأول:**تعريف المطلق والمقيد لغة واصطلاحا

**المبحث الثاني:**الفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد:

**المبحث الثالث:**حمل المطلق على المقيد

**الفصل الخامس: الناسخ والمنسوخ**

**المبحث الأول:** تعريف النسخ لغة واصطلاحًا:

**المبحث الثاني:**أنواع النسخ في القرآن

**المبحث الثالث:** ما يقع فيه النسخ

**المبحث الرابع:** طرق معرفة النسخ:

**المبحث الخامس** :آراء العلماء في حقيقة النسخ وأدلته.

**الفصل السادس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة.**

**المبحث الأول** :أنواع النسخ في القرآن الكريم

**المبحث الثاني**:النسخ إلى بدل وإلى غير بدل

**الفصل السابع:القصص في القرآن الكريم**

**المبحث الأول** :معنى القصص

**المبحث الثاني**:أنواع القصص في القرآن الكريم

**المبحث الثالث**:فوائد القصص القرآني

**المبحث الرابع**:تكرار القص وحكمته

**المبحث الخامس**:القصة القرآنية حقيقة لا خيال

**الفصل السابع: المثل في القرآن الكريم**

**المبحث الأول**: تعريف المثل

**المبحث الثاني**: أنواع الأمثال في القرآن

**المطلب الأول**: النوع الأول: الأمثال المصرحة

**المطلب الثاني**: النوع الثاني: الأمثال الكامنة

**المطلب الثالث**: النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم

**المبحث الثالث**: ما يتمثل به من قصص الأنبياء

**المبحث الرابع** : أغراض الأمثال

**المبحث الخامس** : الدور التربوي للأمثال

**الفصل الثامن: أنواع الخطاب في القرآن الكريم**

**الفصل التاسع: الفصل الرابع عشر: إعجاز القرآن الكريم**

**المبحث الأول**: تعريف الإعجاز وإثباته

**المطلب الأول** : تعريف الإعجاز

**المطلب الثاني**: أنواع التحدي .

**المبحث الثاني**: شروط المعجزة الإلهية

**المبحث الثالث**: بم كان إعجاز القرآن

**المبحث الرابع**: وجوه إعجاز القرآن الكريم